لو كان كافكا
يملك هاتفاً نقالاً

يونس بن عمارة



الطبعة الأولى

لو كان كافكا يملكُ هاتفاً نقالاً

يونس بن عمارة

٢٠١٥



لوِ كان كافكا يملكُ هِاتفاً نقالاً

• لو كان كافكا يملكُ هاتفاً نقالاً
• يونس بن عمارة
• دار كلمات للنشر والتوزيع
• الطبعة الأولى ٢٠١٥
دولة الكويت / محافظة العاصمة
تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤
٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٨٦
تويتر : @Dar_kalemat
إنستجرام : Dar_kalemat
Dar_Kalemat@hotmail.com
للتواصل مع المؤلف :
تويتر : @YounesBenAmara
بريد إلكتروني : younes2kc@gmail.com
https://www.facebook.com/younesleeyoungae
younesleeyoungae.wordpress.com
الغلاف : رفعة العجمي
تويتر : @tragedie_

رقم الإيداع : (2015/476)

ردمك : ISBN: 978-99966-45-72-3

أهديه إلى إ .ص من قسنطينة

مجرد كتاب آخر من مكتبة بورخيس .

كافكا
تفسير شخصي للمحاكمة

أظن أنه من نافلة القول، أن نتحدث أساساً على كافكا. وبالأخص روايته المحاكمة.. لكنني أعتقد أيضا أني وجدت لها تفسيرا نسبياً يخُصني، وفي الحقيقة لا أبحث لها عن تفسير شمولي universal إنما عن تفسير شخصي لي، فهي ببساطة لا تفسير لها عموماً.. لكن لكل واحد منا تفسيره الخاص وبدون إطالة أو استخدام مصطلحات أدبية لا أفهمها أنا أصلا.. فإن المحاكمة ليست انعكاسا نفسيا ولا إرهاصات حيرة الإنسان في الحرب ولا ضغطا أبوياً إلخ.. إنما هي المشكلة العامة في أنك قد (وُجِدت) وهي مشكلة أحسن من قررها وفصلها المُمّجد سيوران، وصمويل بيكيت في قوله الشهير: أنت على الأرض لا حل لذلك.. يمكن أن نقترح نحن (أنت موجود). لا حلّ لذلك، ومشكلة أن تكون هي مشكلة كبيرة فعلا.. يتساءل الفيزيائيون لماذا وُجد الكون على هذه الشاكلة؟، بينما كبار الفلاسفة كصمويل وسيوران يتساءلون لماذا وجدنا أساساً كي نتساءل أولاً؟ ويحسد -سيوران- أولئك الذين لم يوجدوا أبدا..

هذا هو تفسيري الشخصي لقصة المحاكمة لكافكا، إنه

ملخص في قول الشاعر :

وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني

وجـودك ذنبٌ لا يقـاس به ذنب

من رافقنا؟

مما ننصح به من الكتب ، وما زال الكثير !

«إنهُ لا تتساوى الترجمات ولا الطبعات ، فالرجاء قراءة هذه العناوين بطبعات جيدة ومترجمين مقتدرين . . فليحفظ الرب المترجمين الصالحين والمطبعجية المستقيمين ، وآلِهم آمين» . .

أعطنا كتابا نقرأه . .

اسم الكتاب	المؤلف
حكايات ايفالونا	ايزابيل اللندي
امتداد الظل	جهان سمرقند
أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية	عبد الفتاح كيليطو .
التحولات	أبوليوس لوكيوس
الضوء الأزرق	البرغوثي
اثر الفراشة يوميات	محمود درويش
الحارس في حقل الشوفان	د سالنجر
أغنية الطائر	دي ملو
الحياة كما لو كانت نزهة ويكند	نور البواردي
رسائل ايتالو كالفينو	ايتالو كالفينو
البعد	أليس مونرو
اغتصاب كان واخواتها	حوار مع محمد الماغوط

كتب الصادق النيهوم	الصادق النيهوم
هرطقات	جورج طرابيشي
حبر على ورق	مارون عبود
الشعلة الزرقاء	رسائل جبران ومي
سماؤك الداخلية	نيل دونالد ولش
آدم يكره التلفزيون	رشا عباس
المخلوقات الوهمية ويليه ضيفا على بورخيس	بورخيس / مانغويل
التدبير الإلهي	بول ديفز
ألوان أخرى	أورهان باموق
الطريق إلى الفضيلة	لاو تسو
كتاب البهاليل	سلمى الهلالي
فهرنهايت ٤٥١	راي برادبري
السوريالية في عيون المرايا	أمين صالح
Codex Seraphinianus	Luigi Serafini

القائمة عشوائية ، وليست ترتيبية بشكل من الأشكال .

قراءة في كتاب:
الحياة كما لو كانت نزهة ويكند

مسرورٌ ، أقول أنني أنهيت الكتاب الشعري أو الشاعري حسب رأي أولئك الذين قالوا أن ما فيه ليس شعراً بل نثر أو لنقل نصوص . . كما يوجد على الغلاف . .

نُنوّه إلى أن درويش نادر الاقتباسات والإحالات وفي إحدى مقدمات دواوينه اقتبس عبارة للتوحيدي (واختياره للأسماء دقيق) تقول «أن أفضل الكلام ، ما قام على نظم كأنه نثر ، أو نثر كأنه نظم .»

الحقيقة أن رأيي الشخصي يقول أن هذا هو شكل الشعر العربي الحداثي القادم : أنه شعر جمالي راقٍ ولنحاول في هذه العجالة كشف بعض نواحي الأناقة والبهاء فيه . . دعونا نقل أننا غضضنا الطرف على بعض القصائد القليلة جداً التي هي أقل جودة وأكثر اعتيادية من أخواتها ، لكن هذا لا يضير المجموع ككل .

بدايةً . . المتعودون على الشعر العربي بإحكامه وجلاله وعليائه ، سيرون الديوان على أنه عبارة عن تجميع لأقوال عادية ، بلا أي شعرية فيه . . لكننا نرى أن الكتاب شاعريّ بحت . . إنه ليس حالماً بل شاعري . .

ولنشرح الفرق بين الشعري والشاعري نقول أن الألمان درجوا على تسمية كافكا شاعراً، رغم أنه كاتب روائي وقصصي، ولكن الألمان لما يقولون «شعر» فهم يعنون الأدب.. فـ(غوته) شاعر.. و كافكا شاعر أيضا. انهم لا يعنون الأدب كما نراه نحن أيضا.. بل يقصدون روح الأدب.. إنه مفهوم شبه ميتافيزيقي، وليس مفهوما نقديا أدبيا. فعندما يقولون أن فلان شاعر يعني لديهم أنه ملهَم..

المهم، دعنا نقل أن هناك نوعان من الشعر:

شعر صوتي وشعر صوتي بصري، باعتبار أن الشعر لا يقدر على تجاوز موسيقى اللفظ -أو هذا ما أعتقده في رأيي- .

قلنا صوتي، لأنه يجدر ملاحظة أن أسس الشعر العربي قامت في أمة أُميّة، لا الشاعر ولا المستمع يعرف الكتابة، فالتذوق يكون سَماعاً، والنسج الشعري سيركز على القيمة الصوتية.

هذا في زمانٍ ماضٍ، أما في وقتنا الحاضر، ولنأخذ كمثال الشاعر مفدي زكريا بصوته في قصائده المتفجرة الهجومية القوية، وصوت درويش الحنون المنساب كماء رقراق في جدول بروعة الوقف والفصل.. وكمعاصر لنا ولكم الرائع البرغوثي في رائعته (في القدس)، والذي أنوه هنا إلى أنه حتى بعض كلامه العادي أيضا شعري.. فعندما استضافه أحد الإعلاميين، وسأله عن رأيه فيما يحدث وقتها في البلد، فأجاب أولا (أنا بداية مش حد) وأبدأ أولا أنه لا يأخذ أي

جانب سياسي أو غيره ، وهذا في رأيي ما جعل شعره بتلك البراعة . . على الأديب عادة ألا يمارس أي ميل سياسي أو غيره للحفاظ على (روح الأدب) وللحفاظ على شعريته وشاعريته . . التلون بلون واحد ليس من خصائص الفن . . إنه من خصائص الجيوش التنظيمية . . نكمل فنقول أن الشعر إذن في عصرنا صوتي أكيد ، لكنه زاد فوق هذا وأصبح بصريا . . . لن نتحدث عن القصائد التي تحولت لأغاني لشعراء ما وصُورت ، فليس هذا ما نعنيه إنما نعني الكتابة وتصميم القصيدة الكتابي أي كاليغراف/م الخاص بها . . فمنذ قدوم نزار وإقدامه على طبع دواوين شعره بخطه الجميل مباشرة حتى أعطى الشعر بُعدا جمالياً آخراً متميزاً عن الشعر الصوتي الذي اعتدنا عليه فأصبح هناك عالمان جماليان جمال اللفظ وجمال الرسم .

كذلك معمارية قصائد درويش : تَركُ كل الكلمات غير مشكلة وتشكيل بعضها ، استعمال رمز / بدل النقاط . . وهنا في كتابنا الذي نتحدث عنه ، كتابة بعض الكلمات بالخط الكبير ، تكبير بعض الكلمات وتصغير أخرى ، إن كتابنا الشعري هذا تحفة فنية بصرية ، ابتداءً من الغلاف الفني الذي تعاون عليه مصممان يبدو أنهما أجادا وأتقنا عملهما فعلا . . إلى معمارية القصيدة (الخارجية ولا نعني اللفظية فحسب) والجمالية اللفظية الصوتية الجرسية والبصرية لها . . . سيبدو للكثيرين أن العبارات عادية ويومية ، ويغفلون عن جَرسِيتها الشعرية ، فليس كل ما هو يومي : عادي ، مبتذل أو غير

شعري . . أتذكر كتابة أحد الأدباء الفرنسيين لكل ما يحدث في الشارع ، من خلال جلوسه في مقهى وكتابة كل ما حصل ، ونشره في كتاب . . التصيّد الفكري صعب جدا . . أن تمسك بالواقع كما هو : من أصعب المهمات إطلاقا ، وهو المهمة التي يسعى إليها الفن (أو هذا ما يعتقد بعض النقاد أن الفن يسعى إليه) ، وهذا ما حاوله هيمنغواي في قصته (تلال كالفيلة البيضاء) ، وشرح روعتها بدقة ميلان كونديرا في وصاياه عن الرواية ، مهمة الشعر أحيانا تحويل أنظارنا إلى أن شرب فنجان قهوة هو أمر شاعري شعري فعلا . . والحقيقة أنه كذلك . . في الصلاة الربانية «آتنا خبز يومنا» ليس ابتذالا بذكر حاجة بيولوجية . . إنه أمرٌ شاعري فعلا . . نحن ضعفاء أطعمنا يا رب لقمة من عندك . . كذلك الترميز الواضح للتناول في العقيدة المسيحية (تناول جسد المسيح /خبز ، شرب دمه/ الخمر) هو أمر شاعري روحاني بامتياز . . وعلى فكرة ، الفن يكسر كل الحدود الاعتيادية بين الديانات والحدود الواضحة للعالم كما علمتنا المدرسة أن نعرفه ، وإلا لما أصبح فنًا أو شعرا . . المهم . . قلنا أن الأمر شاعري . . . الحق أنه بداية من العنوان بدخول كلمة «ويكند» وحتى آخر الجُمل الشاعرية . . الأمر كان ممتعاً وجيداً جداً . . لا يكون منا إلا أن ننصح وبشدة بهذا الكتاب الجميل ، ونحدوا بكاتبته أو شاعرته عدم حرمان الأدب العربي بإبداعات مماثلة أكثر وأكبر . . . سلام .

لو كان كافكا يملك هاتفا نقّالاً...

-١-

نسيتُ هاتفي في المحل ، وهذا ما دعاني للكتابة ، ربما لتكتب جيدا يجب أن تحدث لك أمور ، مثل ماذا؟ مثل أن تدخل السجن كـ«ليسكانو» ، لو دخلتُ السجن وكنتُ ضابطاً بعد المدرسة الثانوية العسكرية ، لربما -أقول- كنت أكتب بشكل أفضل . .

لندع هذا جانباً ، يقول عبد الفتاح كيليطو -وبما أنني بدأت بالحديث عن هاتفي- أن هناك رواية مغربية تتحدث عن تأثير الاتصالات الحديثة في التواصل الاجتماعي العادي ، لذلك تقول مواقع الضحك والترفيه أن الآبل والهواتف التي تعمل على نظام الأندرويد لم يجعلوا البشر يتصلون ، لكن هواتف نوكيا فقط ! يقصدون هواتف نوكيا القديمة إذ أنها توضع في الجيوب ، أما تلك فكامل الوقت وأنت تحدق فيها تنتظر الجديد .

ما هو الجديد أصلا في هذا العالم؟ : لا شيء ، ولذلك يبكي قلبُ الكاتب يومياً لهذا الأمر ، إنه لا يبكي تباهياً بالمعرفة وأنه عرف كل شيء ، بل يبكي لأنه يعرف أنه حتى معلومة «ألا تعرف» ليست معلومة حكراً عليه بل الأمر كما قال سيوران «أي فلاح روماني يعرف هذا» .

-٢-

نعود لتلك الرواية التي تحدث عنها اللساني المغربي عبد الفتاح ـ أنا أرى أنها بائسة جدا ، موضوعها بائس ولا يمكنني قراءة الألوف من تلك القصص التي تحتوي أشياءاً قيلت قبلاً وبنفس الطريقة . . إذن فلنترك هذا الموضوع ولنطرح سؤالاً نحاول الإجابة عليه : «ما هي اللحظات التي السعيدة التي مرّت بالكُتّاب»؟

تمر بالكُتاب لحظات سعيدة منها قراءتهم وتعرفهم على الكتب التي تأثروا بها لأول مرة ، تأثرهم بها وانبهارهم – الصدمة الفكرية اللذيذة–تشكل فوراً (كصب الرصاص في الماء لرؤية البخت) الصيغة الأولية الأدبية لهم ، وكمثال ذكره الأدباء لنذكر د . أحمد خالد وقراءته لألف ليلة وليلة ، د . طالب نيكولاس وقراءته للكتب وهو صغير في قبو بينما السطح يُقصف ، وقد ذكر عنوان الكتاب في كتابه البجعة السوداء ، مكسيم غوركي وعمله كصبي طباخ وتعرفه على روائع الأدب الروسي عبر مجموعة منتقاة من الكتب كانت صندوقاً تابعا للطباخ . . وآخرون منهم سلفادور دالي وقراءته لنيتشه وهو صغير في مكتبة أبيه المنفتح عقلياً كما وصفه ، رغم اختلافه معه لاحقاً ، (حنا مينة)الروائي السوري في (الرواية والروائي) وقد ذكر عنوان الكتاب الذي حفظه تماماً . . ثم نساه ثم أصبح روائياً . . وكتابه ذلك جميل جداً عن الرواية . . وإبداعٌ حقيقي . .

(نجيب سرور) أيضاً تأثر بـ (المعري) ، والشعر العربي ككل الذي أخذ أبوه على نفسه أن يُحفّظه إياه من الصغر .

أنا؟ إن سُمح لي بالاندراج تحت نفس القائمة سأتكلم أني قرأتُ لهؤلاء دفعة واحدة . . لقد قرأت لهم وتأثرت بهم والقلم يأبى أن يكتب بشكل مميز .

-٣-

لست بعيدا عن الأحداث التي تقع هنا ، ولا أريد تبرير ذلك فموضوع (أن الأدباء غير مهتمين بالمواضيع الراهنة) موضوع بحد ذاته مُعاد ، وربما يقول أحدهم إن تحديد المواضيع واستبعادها هو الذي يقيدك ، ربما لو كنت عفويا تماما ، فحتى لو أعدت بعض المواضيع لكان الأمر جيدا ، هنا فعلا أتذكر أن بعض الأفكار لم تنسب إلى مؤسسيها إنما إلى مخرجيها بشكل جيد ، فيُروى في الشعر العربي أن بشار بن برد قال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

ونال ما يتمنى الفاتك اللهِجُ

فأخذ «سلم الخاسر» الفكرة وقال بيتاً ذاع صيته جداً هو :

من راقب الناس مات همّاً

وفاز باللذة الجسور

فغضب بشار جداً لسرقة سلم للمعنى وجزالة اللفظ ، فترك الناس الأصل لثقله وذاع صيت بيت سلم الخاسر .

ربما القارئ المعترض يريد هذا : نحن نعرف أن الكُتّاب لا يمكنهم الإتيان بجديد -أو هذا ما نعتقده نحن- فما المانع من إبداع وتحلية المشاعر بشكل براق جميل؟

أنا أجيب عن هذا الاعتراض : لا أدري .

-٤-

لو كان كافكا يملك هاتفا نقالا ، لما كتب أي شيء على الإطلاق . . يقول الروميّ جلال الدين في كتابه 'فيه ما فيه' : كما يرى المنجم كل العوالم في كفة يده في الأسطرلاب كذلك قلب المؤمن . . وهذا تشبيه من أجمل ما يكون إلا أنه تحقق في عصرنا بوجود هذا الأسطرلاب في يدك . . فأين ذهب الإبداع؟ . .

كافكا لو كان يمتلك هاتفا لما اضطر إلى إخفاء مجلاته الإباحية ، في خزانة والإقفال عليها والاحتفاظ بالمفتاح . . . الغريب في الأمر هو (لو كانت كلمات الصحافيين في التَقَول عنه صادقه) لماذا لم يذكر ذلك في مذكراته؟ ؟ .

لو كان لكافكا جهاز اندرويد لما كتب شيئا ذا قيمة . . (لو) لا تفيد شيئا ، لذلك يبقى كافكا كاتبا جيدا .

وقصة 'كافاناه مورفي' توضح ذلك جدا :

قصة إغريقية

الملك الأثيني المحارب ، بعد حصاره لمدينة لوكونوس ، أرسل رسالة :

«لو ، احتللنا لوكونوس ، سنقتل كل الرجال ، ونستعبد نساءكم وأولادكم ، نسلب ونحرق المدينة»
المدافعون الأسبرطيون بعثوا له الجواب :
«لو . . . »

-٥-

في أول هذه النصوص ، حاولتُ جهدي أن يكون النص متناسقاً ، لذلك فلنعد لموضوع أنني لست بعيداً عن تلك المواضيع الراهنة . في مدة قصيرة حدثت الكثير من الأحداث كأنّ ثقباً ما حدث في السماء فنزلت منه الأحداث كتلة واحدة على حوض البحر الأبيض المتوسط . . حتى أن اليونان أجّرت – من جرّاء الأزمة المالية – آثارها لشركات الأفلام والترفيه ، حدث كل ذلك في العام الوتري الأسود ٢٠١١ .

أما في مدينتي الوادعة المفترشة للرمال بالنهود الحجرية (القباب) ، لم يحدث شيء ذو بال ما عدا قدوم أفواج كثيرة للسوادين -كما نسميهم - وهم الماليون وآخرون ، ولأعداد كبيرة من السوريين وأصبحت تراهم في كل مكان ، ويتكلمون باللهجة المحببة لأهل المغرب العربي : اللهجة الشامية . . ولنقل كلمة هنا هي أنه ولا كاتب جزائري تحدث بشكل كاف وشاف عن كيف تصورناهم وكيف وجدناهم ، فالجزائريون جُنّوا لفترة ما بباب الحارة والتقاليد الشامية . . ها هم الشاميون بلهجتهم المحببة قد أتوا . . ولم يكتب أحد عن ذلك .

عدنان إبراهيم وصديقي عماد

وعـدتُ صـديقين أن أكـتب في إحـدى الموضـوعـات ، وبالتحديد موضوعين لكن للأسف لم تبعدني مشاغل الحياة عنهما إنما التفكير . . وهو أسوأ ما يمكن أن يحدث لك في هذا العالم كما قال سيوران . .

الموضـوع الأول هو حـجج جـمـال البنا في عـدم وجـوب الحجاب . . الحقيـقة أن هذا الموضوع ضخم وفقهي . . لذا لا داعي دوما للمفكرين الشباب أن يتجاوزوا هذا التراث الفقهي وهو عـقلي منطقي ، في مسـألة عـملت فـيـها أربعـة آلاف أو خمسة آلاف عقل من أجود العقول . . الفقهاء ليسوا دوماً متحجرين وقد أوردوا الحُجج وتكلموا عليها . . زد الحجاب انتـقل الآن في الدول الإسـلامـيـة إلى درجـة العـرف الاجتماعي . . هب أنه ليس فرضًا . . . العرف محترم في الإسلام ولو دخلت قرية أو مدينة ما وكان هناك فيها عرف لا يخالف الإسلام . . فمن المفترض أنه عليك اتباعه لأنه نظام عام لأولياء الأمر والإسلام يماثل في هذه الحيثية ، مذهب الحكيم سقراط فهو لا يخالف النظام العام وقوانين التسيير . . أنت مسلم ويمكنك جدا أن تتعلم قيادة السيارة وقوانينها ليست إلهية ، هي فقط أفضل ما تمكن الإنسان (من اختراعه) كي

ينظم المرور، إن كانت لك ملَكة عقلية خارقة ويمكنك ابتكار نظام آخر أفضل منه فتفضل فالعالم كله ينتظر منك ذلك . .

أنا لا أقول أن الحجاب عرف . . أقصد أن العرف في فقهنا المغربي من أصول الشرع . . قلت هَب أنه كذلك إذن لا يجوز لك مخالفته كي لا تشوش على الباقين . فالاختلاف دوماً صعب . .

هنا ستظهر -وكما ظهرت فعلاً- الكثير جداً من الاعتراضات عن القيم الرجعية والعلمانية والتقدم إلخ . . رغم أننا كما ترون ناقشنا أمراً اجتماعياً أنثروبولوجياً بحتاً . . البابا الكاثوليكي يُقبّل هو يد زائريه، ولم يقل أحد أنه تخلف، إنها أعراف وطقوس وهي تُناقش في إطار اجتماعي وليس في إطار بيولوجي . . المولعون بنظرية التطور، سحبوها على كل شيء حتى أنهم قالوا بنظرية الميمياء، أو نظرية التطور الاجتماعي . وطبعا هذا في رأيي جنون علمي لا طائل من ورائه .

إذن جمال البنا تكلم ورد عليه الكثيرون ممن هم أولى بالإجابة مني لتخصصهم عن هذه المسألة . حِججه العقلية مقنعة لكن انظروا دوماً إلى الجانب الآخر من الرد وحاكموا وأي الفريقين ترجح فاتبعه . . لأن الأمر ليس أن تعرف رأي فريق واحد فقط، والمعلومات الضئيلة التي اكتسبتها في المدرسة عن الدين ليست كافية البتة . فعليك بالبحث .

الموضوع الثاني هو عدنان إبراهيم، الذي أغرى الكثير من شبابنا المتعطش إلى الحكمة، وأنا أقول أغرى : ليس اتهاماً،

إنه عقلاني جيد جداً وبارع وله لحن طروب وهو مقنع . . وله حجة وهذا ما يجب للمخالف أن يسلم به ، لأن الشتم والسب ليس دفاعاً ولا يفيد شيئاً . لكن هناك أمر . . لو كان الشيخ عدنان قد فعّل علمه وقوته النظرية هذه في شيء آخر لكان مفيداً جداً للأمة . . وقد فعل نسبياً في حصصه الثقافية وتقريبه للفلسفة لعامة الناس ، وقد فهمت منها الكثير على كل حال بفضل حلقاته . . لكن أن يخوض في مسائل معقدة مثل الصحابة فقد أضر بنفسه وأحدث بلبلة كبرى نحن أكيد في غنى عنها ، فنحن أصلا سنة وشيعة ودروز وطوائف أخرى . . وكل الحجج التي أتى بها بالدليل والصفحة مفيدة في البحث العلمي لكن لتعلموا أن الفقهاء كبار العلماء الذين يقر الشيخ عدنان نفسه بعقلانيتهم ، لم تغب عنهم لأنهم هم كتبوها بأيديهم ورَووها لذا فإعادة طرحها ستستلزم إعادة دراسة كبرى لكل شيء من البداية وحتى النهاية وبما أننا مختلفون على المعايير الأساسية للاحتكام -فالدكتور ضرب أهم ركن في الحديث وهو البخاري وقال أن نُعمْل العقل- . . أدخل فهمهُ للسنة في ركن طالما اختلف فيه المتكلمون وانقسموا . . ألا وهو النقل أو العقل . . وقد طرح بن رشد وبن تيمية وبن عربي والكثير نظرياتهم ، فان تُحكّم نظريتك أنت فقط في هذا الأمر أمر مشكل . . لأنه لا يوجد عقلاني أكبر من بن رشد ، ورغم ذلك فهو فقيه مالكي عتيد لم يرد البخاري . . وزد البخاري لم يأتي بشيء من عنده ، لقد وضع شروطاً لقبول الحديث وقام

بترشيح الأحاديث وكان معه في بغداد وفي كل بقاع المسلمين الكبيرة من يرونه بعين الريبة فادخلوا كل كلمة من كتابه في ميزان البحث وأخيراً سلموا له ليس تسليماً مطلقاً بل أن لوقتنا الحالي ما زالت مذكرات التخرج تكتب عنه وتمحصه وتبحث فيه ، وقد أثبت جدارته وإحكام معناه وبناه كل مرّة مما يزيدنا علماً وثقة به .

البخاري مَروي بأسانيد حقيقية تواتراً من رجل لرجل . . بالوثائق . . النقل لا يمكن للعقل أن يمتحنه إن كان موثوقاً وكان متنه ليس من المستحيلات عقلاً ، لأنه لو وضعنا النقل تحت ميزان العقل ، أي عقل نرجع إليه لنحتكم؟ وعقولنا مختلفة لأن خلفياتها مختلفة .

إشكاليات الشباب المختلف حول فيديوهات الشيخ عدنان ، والحروب الجدالية القائمة في التعليقات سببها أنهم رأوا فقط جانب عدنان ولم يقرؤوا أصلاً من قبل عن من هو البخاري وما الذي فعله بالضبط . . أنت كشاب حديث السن ليست لك معلومات كثيرة عن الموضوع ، ولا تعرف ويهجم عليك الشيخ عدنان بالدليل القاطع وكذا وكذا . . أكيد أنك ستميل إليه ، لأنك لا تعرف الطرف الآخر . . أدعو إذن إلى معرفة الطرف الآخر . . هناك حلقة لمشايخ الأزهر لخصوا فيها منهج البخاري كَكُل وأنا أدعوك إلى مشاهدتها ، وأذكر أسمائهم هناك حلقة مخصصة عن البخاري فيها الدكتور عمارة والدكتور علي جمعة ، وأسامة الأزهري والشيخ الجفري ، وبالنسبة إلى

البـخـاري : قـراءته وقـراءة مـعـاصـريه والأفـضل أن ننتظم في حلقات نتعلم فـيـهـا على الأقل أسـاسـيـات علوم الحـديث ، وعليك أن لا تسـتخف بالأمور عقلياً فسوف يتبين لك أن الله والروحُ أكبر من عـقلك فـأنت نفسك لا تعرف ماهيّة نفسك وهويّة روحك مـا هي ومن أي شـيء تتكون . . فكيف بما هو أقرب إليك . . هناك حديث يلخص الأمر العقلي والأمر النقلي وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت لم أخلق لهذا ، خلقت للحراثة قال آمنت به أنا وأبو بكر وعمر ، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي فقال له الذئب من لها يوم السبع ، يوم لا راعي لها غيري ، قال آمنت به أنا وأبو بكر وعمر قال أبو سلمة وما هما يومئذ في القوم .

فكأن سـيـد الخلق عـرف أن هناك مـن سـيـعـتـرض فـأردف بقوله آمنت أنا وأبو بكر وعمر وما هما معه ، لأنه متأكد من تسليمهما المطلق للوحي ، وما ذلك إلا لأنه لا ينطق عن الهوى .

البـخـاري بلغ الدقة من شـارحـيـه وتلامذته أنهم يشكّلون الأحـاديث ورَووها باللفظ لا بالمعنى . . ولمعـرفـة منهجه يجب القراءة ، فالكثير من المذكرات العلمية المحكمة في الماجستير والدكتوراه بحثته ودقته والكثير من شروحه لم تترك شيئاً . . فالقراءة القراءة والعلم العلم . .

أنا هنا لا أقول لا نناقش البخاري أو أنه معصوم أو غيره

لكننا بحاجة شديدة إلى معرفة البخاري : قراءته أولاً هل قرأنا له المقدمة الخاصة بكتابه؟ هل عرفنا سيرته من هو إلى ما يدعو؟ هل عرفنا تاريخ الحديث وأُسُسَه وضوابطه وكيف نشأ؟ هل عرفنا الظروف التاريخية والاجتماعية لعصره آراء معاصريه وتلاميذه وشيوخه . . الخ . .؟

فلنقرأ ولنطفي حرائق الجهل ثم نحكم . .

تأملات (البدايات الصعبة)

من أكبر التحديات لدى أي كاتب ما : أن يبدأ رواية ما أو قصة أو لنقل كتاب . . ولم أكن أعلم أن كافكا كان يسمى شاعراً رغم أنه لم يكن مؤلف قصائد إنما مؤلف قصص لكنّ الأوروبيين في ذلك الوقت والألمان بشكل أخص أطلقوا على كل من يكتب الأدب شاعراً ، حتى أنه لم يكتب في صنف الشعر (وهذا نادر أن تجد كاتب لم يحاول حتى كتابة الشعر) . . وهذا أمر جيد . .

المهم نعود إلى موضوعنا وهو البداية الصعبة : قد لا يجد كُتّاب معينون -وهم نادرون- أن البداية صعبة ، إنما الاستمرار في إنهاء ما بدؤوا به ، وهناك من يقول «انه يملك بدايات رائعة لكن لا يجد لها استمراراً نحن هنا سنستثني هؤلاء ونمضي للسواد الأعظم الذي يجد مشكلة في بداية الكتب مهما كانت ديواناً أم رواية أم قصة صغيرة .

الله في كتبه المقدسة يقول (في البدء كانت الكلمة) وفي العهد الأخير (اقرأ باسم ربك) هنا يصبح الأمر واضحاً ، البداية : كانت كلمة . ولما كُنّا أُدباء سنلقي هنا بعض الأمثلة الأدبية في البدايات الصعبة . . ولكي تكون كاتباً مميزاً عليك أن تجرب حظك في إكمال أو إنهاء هذه البدايات كي تشحذ

مهارتك وتنمي خيالك ، ولو كان لي دروس في تعليم الكتابة الحرة لكان أول درس هو إنهاء هذه القصص وهي القصص القصيرة جداً» والقاعدة معروفة لدى الكتاب (اقرأ كثيراً) هذه القاعدة الأولي ، والقاعدة الثانية هي (لا تكبح خيالك أبداً) وهذا كل شيء . وكل النصائح الأخرى إنما تدور وتدعم هذين الأمرين .

تعتبر القصة القصيرة جداً من أصعب الأنواع التي يمكن تأليفها وبداياتها -إذن- هي أصعبُ البدايات وكذلك حجمها وكتابتها وفكرتها . وهنا تعرف لماذا العهد الأخير كانت فيه سور مختلفة طويلة وقصيرة وقصيرة جدا . . لماذا؟ كي يبرز الإعجاز الأدبي لهذا دعا أدونيس في كتبه رغم انه لا يعتنق أي دين أن القرآن (وهو ما نسميه العهد الأخير) هو الكتاب اللانهائي الذي أراد مرة ما لارميه وفولتير والعديد جداً من الكتاب مثل جويس وبروست أن يكتبوه . . بل حتى باولو ربما يفكر في ذلك . .

ها هو موجود أمامنا ، وقد استنطق أدونيس بعض الوجوه المعجزة فيه من ناحية أدبية تماماً (كما قال في كتابه عن النص القرآني) و أظهر الكثير من الأشياء الجميلة .

في هذا المقال سنستعرض عدداً من بدايات القصص القصيرة جداً . مثل القصة المشهورة لأوجوستو مونتيروسور عن الديناصور . وهي كالتالي «عندما استيقظ كان الديناصور لا يزال هناك .» فلها العديد من القراءات والتأويلات .

وقصة هيمنغواي القصيرة جداً «للبيع : حذاء لطفل ، لم يلبس قط» ، وقصة انطون تشيخوف التي كانت باهرة جداً وهي «كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما عثرت في الطريق على ورقة من فئة الجنيه منذ أربعين سنة ومنذ ذلك اليوم لم أرفع وجهي عن الأرض وأستطيع الآن وأنا على حافة القبر أن أحصي محصول حياتي وأن أسرده كما يفعل أصحاب الثروات هكذا : ٢٩١٧ زراراً - ٤٤١٧٢ دبوساً - ١٢ سن ريشة - ٣ أقلام - ١ منديل - ظهر محني - حياة بائسة .»

حسناً والآن سنتكلم عن الكاتب الصحافي الأميركي 'ستيف موس' عام ١٩٨٧ حينما خطر له أن يطرح على المهتمين مشروع كتابة قصص قصيرة جداً ، بحيث لا تتعدّى الواحدة منها خمساً وخمسين كلمة .

وستجد أخباره في النت لكن ما لم يعجبني في المجموعة هو انه بعد عناء كبير في جمع هاته النصوص من مسابقة قام بها واشترط على المشاركين ٥٥ كلمة هو أن معظم القصص كانت نكتاً ولم تكن قصصا قصيرة . . وللعلم فان النكتة تعتبر نوعاً ما قصة قصيرة جدا هي والحكمة والوعظ الصغير ولهذا تكتسب قوتها وتأثيرها المباشر . . العرب مثلاً كانوا يقدرون هذا تقديراً كبيراً جداً . . والكتاب تُرجم للعربية ، وفعلاً هو كتاب يُنصح به وجدير بالقراءة .

الإجابة عن السؤال الذي طرحه د .خالد توفيق -وأكيد الكثير من الناس- وهو : هل كانت حياتنا قبل التلفزيون كما

يحكي التلفزيون ، أم أن تصرفاتنا الآن هي محاكاة لما نشاهده وحسب؟ . . ما هي الحياة الحقيقة فعلاً؟ هل ما كنا نفعله قبل اختراعه أم ما نفعله بعد اختراعه والذي تروج له المسلسلات والأفلام الجواب صعب . . لكن من أجزاء الجواب هو أن التلفزيون قام بتنميط الكثير من التصرفات . . لكن سلوكيات البشر ككل تميل إلى الموافقة على (احسن ما يمكن أن يفعل في ذلك الوضع) هو ما يرد في الشاشات عادةً . . والحقيقة أني لن افصل كثيراً في الجواب هنا لأنه ليس موضوعنا .

المهم نعود للموضوع ، إذن ٥٥ كلمة؟ هل تتمكن من كتابة قصة جميلة وخالدة بهذا الحجم؟ هل تتمكن من كتابة إبداع أدبي -كي لا نقيدك بالقصة- بهذا الحجم وتكون رائعة وخالدة؟

الأمر هو أن القرآن لم يستعمل إلا حرفاً واحداً لبداية إبداعات لا نهائية مثلا (نون) . . انظروا لحرف (النون) هكذا يقول الله عز وجل ، وكي يُري براعته الكبرى أيضا يقول الرب (انظروا ها هي نون إنها مجرد نون لكنها ليست نوناً قط) ، النون في اللغة يعني الحوت أيضا . . ولكن ما علاقة الحوت هنا . .؟ انتظر إنه مجرد حرف فقط . . نون عادية لذا بهذا الحرف أقسم به (وأقسم أيضا بالقلم الذي تكتبون به) . . والذي يخرج كل هاته الإبداعات الخيالية والعوالم الغنية الممتعة بهذا الحرف الذي تتكون منه جميع كتاباتكم أقسم وبالقلم الذي يخرجه أيضاً وما يُسطِّره في الأوراق . . (ما أنت بنعمة ربك بمجنون ،

وإن لك لأجراً غير ممنون) ما أنت (يا محمد) يقول لك المفسرون والحقيقة أننا كلنا محمد ، في الجزائر عندما لا يعرفونك يقولون لك يا سي محمد فأنت محمد وفي كتب النحو ذهب محمد ورجع محمد فكل الوجود : احمد محمد . . ولذا هو جميل ورائع كصفحة مصحف وكتلألؤ قمر . . صلى الله على عين الرحمة الربانية التي تتدفق منها جميع الحقائق الكونية وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته آمين .

نكمل : ما أنت (أيها الإنسان) بنعمة ربك الخلاق (الذي خلق كل شيء بكلمة) في البدء كانت الكلمة ، (كُن فَيكون) ، وكما أنك أيضاً كمؤلف وإنسان تخلق عوالماً كاملة بقلمك وما تسطره على الورق أو ما تسطره في فؤادك (أولئك كُتب في قلوبهم الإيمان) فالقلب صفحة الله لِلانهاية التي يكتب فيها ما يشاء وقتما يشاء . . ما أنت أيها الإنسان بنعمة ربك بمجنون لأن هذا ليس جنوناً . . وكي نصدقك القول (وإن لك لأجراً غير ممنون) قد يقول المفسرون الدلالة على أن الكلام موجه لسيدنا محمد عليه السلام ، هو هاته الخاتمة . فهو يتحدث عن أجر الرسالة ، مؤكد أن سيدنا محمد توجه إليه الكلام وهو أول من توجه إليه لأنه أول المخلوقات و(كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) . . ولأنه أيضاً بهذه الصفة أول محمد . فأول ما ينصرف الكلام له عليه السلام لكن ذلك لا يمنع تأويلنا والله أكيد أعلم بمراده سبحانه . . وأي مؤمن أجره غير منون أي منقوص . ودلالة الإعجاز هنا انتهاء الكلمة بـ (منون) أي

تنتهي بنون . فالكلام إلى هنا ابتدى بنون وانتهى بنون لان كل شيء عبارة عن دائرة كما تبدأ تعود . . رغم طول الأمد والدهور .

إذن كل هاته القصص والإبداعات الأدبية إن تمكنت من تذوق طعمها تقف عاجزة أمام هذا (السحر الإلهي) كي لا تتعجب عندما تعلم ان هذا ما سماه العرب الكفار لأنه حقيقيةً أدبيةً و سحرٌ تام -أن من البيان لسحراً -وأبين البيان صفحات القرآن . .

إن تذوقت القصص السابقة وقصرها وإيجازها ومتعتها عرفت الآن أن النون فقط هي من تغلبت عليهم .

ننصح بهذه الأسماء والكتب ولأنها أُستعملت كمرجع في المقال (النص القرآني وآفاق الكتابة -أدونيس ، ست نصائح للألفية الجديدة كالفينو ، أفواه الزمن + كتاب المعانقات + ذاكرة النار لإدوار غاليانو ، تفسيرات القرآن في سورة القلم : لطائف الإشارات للقشيري ، حقائق التفسير السلمي ، تفسير التستري ، إلياس كانتي ، سيوران ، نيتشه ، ابن عربي ، النجم كبرى ، الترمذي الحكيم في معرفة الأسرار -أنصح به - ، تفسير الحلاج (فعلا موجود ، مجموع) ، عبد الكريم الجيلي في مختلف كتبه ، القونوي صدر الدين في نصوصه وسائر كتبه ، ست عجم في شرحها على بن عربي ، الإبريز لسيدي عبد العزيز الدباغ ، الإبريز للحجة الغزالي ، تفسير العلامة الشعراوي المسمى بالخواطر . . . ألخ

تأملات حول دمار الأشياء الجميلة

ربما تساءل البعض لماذا توجد آيات قرآنية فيها ترهيب شديد ووعيد بالعذاب ، ثم لماذا هذا الحميم والغساق والغسلين (والتي حتى أسمائها مرعبة ومخيفة) والسلاسل والطوام؟ . . لماذا نهاية العالم تتم بغضب شديد؟ . . وستكون مأسويةً جداً ومخيفة ولا أحد يريد حضورها . .

الجواب : هو أن كما لانتصار الخير لذة فان في رؤية دمار الشر لذة أيضاً وسعادة ، وكمثال بسيط صاحب الثأر لن يجد في قتل عدوه أمراً سيئاً بل سيكسبه راحة وشفاء لما في صدره بينما ولد القتيل مثلاً سيحمل كرهاً عظيماً له وربما تستمر دورة الثأر والقتل . . لهذا يحبذ الإسلام القصاص ويُزين العفو وأخذ الدية للناس لتوقيف هذه العجلة الدوارة . .

ومن حرص الإسلام على توقيف تلك العجلة ، وحرصه على النفس الإنسانية ، لو كان أهل الدية مجموعة وكلهم طلبوا القصاص وواحد فيهم فقط قبل أخذ الدية ، أُعطيت الدية ولم يُعمل بالقصاص حفاظاً على النفس الإنسانية .

ومن ناحية مادية طبيعية : الكون كله واقع تحت الظلم البشري فدمار هذا النوع الحيواني (البشر) إنما هو -إن تم-

سيكون عدلاً جداً وسيحدث ذلك فيما يسمى بيوم الدينونة doomsday أو يوم القيامة .

أيضاً ، هناك من يرى أن دمار الشمس والنجوم والقمر في ذلك الوقت نوع من الظلم والإفساد . . وهذا ناجم عن نظرة جزئية للأمور أي رؤية الدمار في لحظته وعدم معرفة ما الذي حدث من قبل . . ولضرب أمثلة هناك النكتة المشهورة عن المعلم الذي يعض آذان تلاميذه . . فلامه المدير . . فقال احضر معي وادخله الخزانة كي لا يلاحظه أحد ولما سأل المعلم مرات وبصبر عن كم تساوي أربعة في أربعة وكان جواب الطفل بغباء لمرات خاطئاً . . صبر المعلم أما المدير فخرج صارخاً وعض إذن التلميذ وحده !!

فنحن لو كان بإمكاننا إنهاء العالم لأنهيناه في فترة ما(أكيد) إذ أن أي أنسان أحس بسخط شديد على هذا العالم في فترة ما من حياته . . لكن الحمد لله أن الأمور في يد الرب وحده ولنعلم نحن الضعاف : عظمته ولِم اسمه(الصبور) ؟ وليس صابراً وحسب . .

وهناك مثال آخر في فيلم قرأت عنه ولم أشاهده وهو انه من بداية الفيلم والبطل يتلقى الظلم والأذى حتى تكوّن في نفسية المشاهد كرهٌ عظيم لما هو حول البطل وبُغض للبطل لأنه لا يدافع عن نفسه ويتحمل هذا الكرب . . أو الـcrap أيهما شئت فقل . . وفي لقطة واحدة يدخل المقهى ويقوم النادل هناك بخطأ صغير معه فيصفعه بشدة ، هاته الصفعة مفرحة

جداً وتغسل لك كل الشحنات المتراكمة من التوتر التي امتلأت بها من أول مشهد . . إنها صفعة تنفس عنا فعلاً . . رغم انك لو كنت في المقهى وشاهدت هذا الفعل فقط ستقول أن البطل غير مهذب وقد ظلم النادل ، وهناك أناس نرتاح لما نراهم يُضربون وذلك لكثرة الأذى الذي سببوه للعالم . . إنها مثل اللقطة التي قام بها (بارت سيمسبون) برمي علبة كولا على أخته فغضبت جداً فببساطه قال لها (أن الأمر ممتع) . . وقام برميها على أمه فتعثرت بها . . فضحكت ليزا وبارت وقالت (فعلاً أن الأمر كذلك) . . والذين يقومون بالمقالب يعرفون هاته الحقيقة . .

والحياة كلها مقلب . . نهايتها بهذا الشكل لن يأتي بأي جديد . . وسفر الجامعة في التوراة المتشائم جداً يقول بصراحة ويكرر (لا جديد تحت الشمس) ، الطبيعة البشرية نفسها في كل مكان وفي كل عصر ، (شاهد فيلم Cloud atlas . .) وحتى الفنتازيات التي تُخيلت في الأفلام والروايات : عيش الإنسان في بيئات وحضارات أخرى لم تغير شيئاً (شاهد ريديك الفيلم الرائع لفون ديزل) . . هي تقول شيئاً واحداً أن الطبيعة البشرية لن تتغير . . إنها بمرارة كما يقول العدميون واللاادريون «في خسر» أن الإنسان «في خسر» . . الرب يقول . . (أنا اقسم بجميع الأزمنة . . والعصر كلكم خاسرون . .) لكن أجمل كلمة «إلا» هي الموجودة في تلك السورة : ﴿إلا الذين آمنوا بي﴾ فهناك يتخلون عن بشريتهم ليكونوا متعلقين بي أي ربانيين فيهم جزء الهي .

فالمثل والحكمة تقول : (لما تؤمن بقوة عظمى ، لن تصبح تتعامل بقوتك بل بقوة ما تؤمن به)

يقول كتاب الفتن لأبي عمرو الداني وهو كتاب جامع لكل الأحاديث التي تتكلم عن آخر الزمن (جمعها من كل كتب السنة) . . أن القيامة تقوم من غضبة يغضبها الرب . . ولماذا لم يعبر بالله؟ لان الرب تعني المعطي المتفضل المربي بالنعم . . لذا فان الغضب سيكون مصدره هو الاستهزاء بالنعم وكفرها وجحدها وهذا يعني حتمية زوالها . .

فلا بد في زمن أن يحدث للبشرية رخاءاً لا نظير له في العصور السابقة وسوف تبطر وتتكبر . . وهنا تأتي الضربة .

لذا عندما استمعتُ للصوت السماوي الشيخ عبد الباسط يتلو سورة (إذا الشمس كورت) التكوير . . أحسست بسعادة كبرى وهو يرجع الصوت بشكل يقشعر جسدك ويجعل قلبك يهتز ، ولمَ لا؟ . . أسد السنة احمد ديدات رضوان الله عليه يقول انه لما ذهب ليستمع إلى الشيخ عبد الباسط وقد أتى إلى جنوب إفريقيا في مسجد ما . . وأتى الشيخ أحمد متأخراً ، رأى قساً نصرانياً يتمايل أمام باب المسجد من شدة الْتذاذِه بالصوت دون أن يفهم شيئاً . . فكيف بنا نحن العرب؟ . .

هنا نجيب على السؤال كيف يكون في تكوير الشمس ودمار النجوم وهي أشياء جميلة عظيمة لا شك في ذلك . . لذة أو سعادة . . أو خير؟ . . نقول أن دمارها غير مؤلم بالنسبة لها وليس شراً وهي تلتذ به لأنها أدت مهمتها بل إن لذتها

القصوى في فعل ما يريده الرب تماماً . . وكما أن الزبانية لا يتأثرون بالنار المحرقة ، فكذلك الشمس والنجوم هي تنتهي نهاية سعيدة تماماً لأنها طالما أطاعت أوامر الله ولم تعصه قط ولم تر ذلك ولا تستطيعه . . فنهايتها اجمل ما تكون من ناحيتها .

شيء آخر . . في نفس السورة هناك آية (إذا البحار سُجرت) وكيف يمكن للماء أن يكون ناراً محرقة؟ . . الجواب بسيط . . الماء يتكون من أوكسجين وهيدروجين . . وهما أشد المكونات الكيميائية اشتعالاً بمفردهما . . وهما إذا مُيِّعَا (التمييع أي جعلهما سوائل) كانوا وقوداً نفاثاً للصواريخ ، وهما غالِيا الثمن جداً . . إذا اجتمعا كانا ماءً زلالاً رائعاً أرخص ما يكون!!

لذا كان سيد الخلق عليه السلام يحمد الله على نعمه كلها وعلى الماء البارد العذب الزلال . .

ربما إذا عرفت هذا سيستريح قلبك بالدليل ولكن هذا الأمر ليس جيداً . . فأنت الآن تستند للدليل لا للحق . . وكما ذهبتُ لفحص الخدمة العسكرية كان هناك المنتظرون من شدة التعب يستندون للحائط فصرخ فيهم دركي أن يستندوا لأنفسهم وقوفاً لا للحائط . وقال لهم (اعتدلوا) . . فكذلك حتى هنا . . استقم لوحدك ولا تهتم للدليل . . (قصة الشيخ نجم الدين كبرى مع الرازي أكثر من رائعة في هذا المجال) .

لهذا ترى الصوفية لا يهتمون بالدليل ليس احتقاراً له ، بل

وضعاً له في مكانه فقط . . وعدم رفعه عن مستواه . . وعدم الاستناد له . . إذ انهم يقومون بأنفسهم وكل شيء تعريفه هو نفسه وحقيقته هو ما هو عليه الآن . . كما قال محمود درويش في قصيدته الجميلة (الجميلات هن الجميلات) . . ولا داعي للوصف الكثير!!

هناك تعرفُ معنى قوله تعالى (استقم) .

هذا كل شيء . . . حتى «إذا الشمس كورت» يمكنك السعادة الآن . .

بل انه حتى يمكنك الاهتمام بالتشجير ونفع الخلق . .

أجمل قول (لا) في العالم

تعتبر كلمة - لا - من أصعب الكلمات ، وهي تحمل رفض الآخر لشيء أو طلب ما يمكن أن يفعله لك . . لذا فهي تحمل الخيبة والخذلان غالباً . . اليأس والقرف أحياناً أخرى . . يقول أحد البخلاء أن (لا) جميلة لأنها حرفان فهي تقتصد حُريراتك وجهدك في التلفظ بها فهي خير من (نعم) .

والعرب قديماً تمدح بانعدام كلمة أو لفظة «لا» في كلامك فهم يقولون (لا يقول لا قط) ، فهذا مدح لأنه دليل على الكرم المحبب لقلوب العرب :

ما قال (لا) قط إلا في تشهد=لولا التشهد كانت لاؤه نعم .

ومن روائع أبو نواس

يا عاقد القلب عني
هلا تذكرت حلا
تركت مني قليلا
من القليل أقلا
يكاد لا يتجزأ
أقل في اللفظ من (لا)

والروعة متجلية في قوله (تركت مني قليلاً . . من القليل أقلاً)! آه يا قلبي العاشق الصغير !!

والآن سأدعكم مع سرد من ريتشارد فاينمان ، الفيزيائي الأمريكي حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٥ يحكي : وفي هذه الحكاية ستعرف أن قول (لا) دوماً ليس سيئاً . . .

عندما كنت في صف التخرج عملت مع البروفسور ويلر كمساعد في البحث في نظرية جديدة حول عمل الضوء ، لذلك اقترح فيغنر الذي كان مسؤولاً عن الندوات في الجامعة أن نقوم بعمل ندوة عن هذه النظرية وقال : باعتباري شاباً يافعاً ولم أحاضر في أي ندوة من قبل ، فهذه فرصة كي أتعلم كيف افعل ذلك وبهذا الشكل كانت أول خطاب فني متخصص أقوم به .

بدأت أُحضر لهذا العمل وجاء البروفسور فيغنر وقال انه يظن أن هذا العمل هام جداً بحيث قام بشكل خاص بدعوة البروفسور باولي لحضور الندوة وكان أستاذاً زائراً كبيراً للفيزياء من جامعة زيوريخ كما دعا البروفسور فون ناومان الرياضي الأكثر شهرة في العالم وهنري نورس رَسَل الفلكي الشهير وألبرت آنشتاين الذي كان يسكن قرب مكان الندوة . شحب لوني وتحول إلى اللون الأبيض عندما قال لي : ((لا تقلق أبداً وإياك والاضطراب وتَعلم من البداية إلا تبتئس)) إذا لاحظت أن البروفسور رسل اسْتغرق في النوم حيث انه ينام دائماً في

المحاضرات ، وعندما يومئ إليك البروفسور باولي أثناء المحاضرة فلا تعتبر ذلك أمراً جيداً لأنه يومئ باستمرار لإصابته بالشلل الرعاش ، وما إلى ذلك من أمور . ما قاله فيغنر هدأني قليلاً لكني بقيت قلقاً وقد وعدني البروفسور ويلر بأنه سيجيب على كل الأسئلة عقب المحاضرة وان ما علي أن أقوم به فقط هو الإلقاء .

أتذكر الآن عندما دخلت يمكنكم أن تتصوروا أنها المرة الأولي والتي شعرت عندها وكأني ادخل النار كتبت كل المعادلات مقدماً بحيث امتلأت بها السبورة والحضور لا يريدون الكثير من المعادلات لأنهم يريدون أن يفهموا الفكرة بشكل أفضل . تذكرت حينها أني وقفت لأتكلم وكان كل هؤلاء الرجال العظام أمامي في مقاعد الحضور وهو شيء مرعب ولا أزال اذكر يدي وهي ترتعش عندما سحبت الأوراق من المغلف الذي كانت فيه وحالما أخرجت الأوراق وبدأت أتكلم حدث شيء من النوع الذي استمر أن يحدث لي باستمرار وكان شيئاً رائعاً فعندما أتكلم في الفيزياء أحب أن افكر وتفكيري محصور في الفيزياء فقط ولا يصيبني القلق بالنسبة للمكان الذي اكون فيه على الإطلاق . سار كل شيء بسهولة ويسر وقمت بإيضاح الأمر ببساطة افضل ما استطيع ولم افكر مطلقاً بمن كان موجود في ذلك الوقت وكنت أَصبُ كل اهتمامي على المشكلة التي اشرحها وعندما حان في النهاية وقت طرح الأسئلة لم يكن لدي ما اقلق بشأنه لان البروفسور ويلر هو الذي سيجيب . .

نهض البروفسور باولي الذي كان يجلس بجانب البروفسور آينشتاين وقال «أنا لا اعتقد أن هذه النظرية يمكن أن تكون محققة بسبب كذا وكذا وهذا الشيء الخ . . ألست توافقني يا بروفسور انشتاين؟»

قال آنشتاين (لا) . وكانت هذه أجمل كلمة لا سمعتها في حياتي .

ص٣٢٦ متعة اكتشاف الأشياء . ريتشارد فاينمان .

(يقول آنشتاين : اشكر كل من قال لي لا . لأنه علمني أن افعل ذلك وحدي)

عن الكلمات التي تتغير معانيها

في بادرة متشددة من انستغرام (تطبيق للصور على الهواتف) ، منعت أي تطبيق من كتابة اسم «غرام» أو «انستا» في مرة واحدة أو اختصارات IG في أسماء التطبيقات وأثار هذا فيّ سؤالا كان لا يقض مضجعي ولا يقلقني إنما فضول فحسب . . بوتيرة الازدياد التي نمر بها وبهذا النمو -لو استمر على هاته الشاكلة- هل سيأتي يوم يقفل فيه سجل الاسم التجاري؟ وتحجز كل الأسماء والنطاقات الموجودة في القواميس؟ . . أظن أن الإيرلندي جويس كشف ذلك فتلاعب باللغة واخترع كلمات لوحده(كوارك ، شبكة العنكبوتية) . . ومن قبله المتصوفة طوعوا اللغة لأقصى درجة (الحكيم الترمذي ، النجم كبري ، محيي الدين بن عربي) وأذهلوا العالم الأدبي بلغة نادرة وجديدة . .

هل سيأتي يوم تنتهي فيه الكلمات أو عهدها؟ . .

أظن أن الكلمات لا تعطي معاني للأشياء بقدر ما تعطي الأشياء معنى للكلمات . . فكلمة inception قبل فلم نولان كانت لها معنى عادي ، twilight أيضاً ، لكن بعد ظهور العمل أو المنتج اصبح للكلمة نفسها بُعداً آخر . . فالأشياء هي التي تمنح الكلمات معاني جديدة تماماً . .

كما اسم هذا الموقع أيضا (أبجد) كان عبارة عن حساب جُمّل (طريقة حسابية ما) . . بدخوله العالم الإلكتروني اصبح شبكة اجتماعية للقراءة فمنح الاسم معنى جديداً . .

لنأخذ مثالاً آخر زيادة وهو الخيميائي . . قبلا كانت الخيميائي مرادفة للساحر والمشعوذ . . وكان كل من تثبت عليه هاته التهمة يحرق حياً في محارق محاكم التفتيش في القرون الوسطى ، لكن بعد رائعة باولو -التي هي أصلاً قصة عربية معروفة لكنه قام بتمديدها وحبكها بصفة مميزة جداً وبروعة لا مزيد عليها - : اصبح الكل فينا يحمل الخيميائي الخاص به في قلبه متتبعاً إشارات الرب في تسيير حياته . فكلمة «الخيميائي» لم تعد شيئاً سحرياً مخيفاً إنما مطلوباً .

كلمة vampire مثلاً كانت تحمل رنين وحش مصاص دماء معادي للبشر . . انظروا الآن لكل الشباب الحالي يريد أن يصبح Vampires ، لأن توايلات وضّح انهم أناس متخلقون يحبون الدراسة (لاحظوا عدد قبعات التخرج التي يملكونها)!! ولا يظلمون أحداً ويتعايشون بسلام مع الوولفوير -الرجل الذئب-!! في الحقيقة أبدي إعجابي بتلك العباءات التي يلبسها الفولتوري ، من أين يأتي هؤلاء القوم بهاته الأشياء؟ !

إذن سأجيب على تساؤلي : لن يأتي يوم يقفل فيه القاموس أبوابه ذلك أن نفس الكلمات لن تتبدل إنما تحمل معاني جديدة . .

ونضرب مثالاً بسيطاً لما نقول «أبجد» الآن . . سأقول لك

عن أي أبجد تتحدث؟ . . يحكي لنا المسعودي في كتابه الأسطوري المليء بالحكايات والروعة والمتعة الأصيلة «مروج الذهب ومعادن الجوهر» : أن أبجد وهوز أسماء ملوك قدماء؟ هل تقصدهم؟ . . هناك اثر ديني يقول (أن هناك من يحسب حساب أبا جاد ويستفتي النجوم . . أولئك لا خلاق لهم) . . وأبجد القرون التي عاش فيها ابن خلدون كان تعني جداول سحرية مليئة بالغموض . تحسب أشياء ومواضيع لا حصر لها . . (راجع المقدمة) .

تلك الجداول كان عالم مغربي يدعى احمد السبتي بارعاً فيها ، وعبر هذا العالم اقتبس الفيلسوف ريموندوس ليلوس وهو راهب إسباني كتب حوالي ٣٠٠ كتاب معظمها في اللغة العربية . لكن اشهر مؤلفاته يعرف باسم «الصناعة العظمى Deorte Magna» وصنع أول حاسوب ميكانيكي ، ومن ثم تم التطور إلى حاسوب باباج والآخرين ثم الحاسوب العادي المعروف ثم الأنترنت ثم ها أنتم تقرؤون في موقع اجتماعي اسمه «أبجد» موقع عربي على النت يحمل عنوانه معنى آخر تماماً لكنه يحمل أيضاً عبق سحر كل المفاهيم التي مضت وهكذا تحمل دوما الأسماء الأخيرة كل ما فاتها من رواسب المعاني وتزيد عليها فيكون لها نقطة قوة عما سبقها . . .

أبجد ليست كانستغرام ولذلك لن تمنعكم من استعمال اسمها في تطبيقاتكم !!

تأملُ كأس شربات

في الحقيقة ، كان لعنوان هذه المقالة أن تكون (علة وجود النقص في العالم) وهو ربما عنوان فلسفي ، وهو مغزى هذا المقال وقد استمتعتُ بإفساد اكتشاف ذلك لوحدكم بذكره هنا بالبداية . . إذ أنكم توقعتكم أن أتكلم عن الشربات أولاً ، وهو فعلاً ما سأقوم به لكن كضرب لمثال فقط وفي آخر المقال أيضا . .

الكثير يريد لهذا العالم أن يكون كاملاً . . ولا يعرف حقيقتان أولها : أن العالم لا يمكن أن تعرف أنه كامل لو كان كاملاً وحسب ، لماذا؟ لأن النقص غير موجود ويلخص ذلك المتنبي في قول رائع (وبضدها تتبين الأشياء) . . فلو لم تعرف شيئاً ما ، لا يمكن أن تعرف نقيضه ، ولهذا لا يعرف النور من لم يكن في الظلمة فالظلمة ليست شراً إنما هي عدم النور .

الحقيقة الثانية أنه حتى لو فرضنا جدلاً أن العالم كامل بلا أي نقص فيه ، فلا يمكن للطبيعة البشرية أن تتقبله لأنها مجبولة على التعامل مع الكمال المشوب بالنقائص وليس الكمال وحده . وهذا ما قاله برنامج التعقب لنيو في فيلم الماتريكس (لقد خلقنا عالماً مثالياً لكن البشر لم تتقبله وانهار) .

الشيء الآخر هو أن ما تراه اعوجاجاً ونقصاً في بعض

الناس أو الأمور أو الأشياء هي خصائصها الكاملة . . فكما في حكمة آنشتاين ، أو كما ينسب إليه في النت : لا يمكن أن تحقق منافسة بين السمك في البر أو الغزال في البحر . . ضع السمكة في البحر والغزال في البر ، وانظر إلى المنافسة ، لأن الخصائص تختلف وقال الحكماء قديماً أن الخُطاف الذي تمسك به الدلو لتجلب الماء من البئر : اعوجاجه عين استقامته . فلو انك أقمته مستقيماً لم يكن خطافاً ولم يجلب لك الماء . فمهمته وخصائصه (وكماله) أن يكون معوجاً هكذا ليحقق غايته ، ولو فهمت هذا فهمت العبارة أن المرأة ضلع أعوج في الإسلام ، فلا يعتقد منه النقص أبداً إذ هو عين الكمال والاستقامة في نفسها . .

قال نبي الإسلام عليه السلام «فإِن ذهبتَ تُقيمُهُ كسرتَهُ ، وإِن تركتَهُ لم يزلْ أعوجَ» كذلك كما قلنا عن الخُطاف الذي يجلب الماء من البئر ، . . لو أقمته لما كان مستقيما في نفسه ولن يؤدي مهمته فصلاحه في كونه هكذا . .

هذا شيء . . والحجج الأخرى هي أن النقص بحد ذاته (كمال) في نفسه . . لأن بعض الأشياء عندما تنقص تكون كاملة ، وعندما تزيد شيئا تنقص ، حتى لو بدا لك ذلك تناقضاً . . وعندما يصل الشيء إلى كماله ، فإن أي (زيادة) هي نقص وشذوذ . . فالإنسان كامل لما يكون له رأس واحد ويدان . . لكن لو كان هناك إنسان فيه رأسين وأكثر من يدان ، لعلمت مباشرة أن هذا نقص ، رغم أنه (زيادة) عن الطبيعي .

وهناك كتاب نَحوي اسمه الخصائص لابن جني ، وهو كتاب مميز جداً وأبدع فيه صاحبه للغاية . . وفيه باب جميل وكلام رائع عن هذا الأمر لكن من ناحية لغوية عنوان الباب هو (باب في التام يزاد عليه فيعود ناقصاً) .

وفيه «(هذا موضع ظاهره ظاهر التناقض ومحصوله صحيح واضح ، وذلك قولك : قام زيد فهذا كلام تام فإن زدت عليه فقلت : إن قام زيد صار شرطاً واحتاج إلى جواب . وكذلك قولك : زيد منطلق فهذا كلام مستقل فإذا زاد عليه أن المفتوحة فقال أن زيداً منطلق احتاج إلى عامل يعمل في أن وصلتها فقال : بلغني أن زيداً منطلق ونحوه . وحاصل هذا أن كل كلام مستقل زدت عليه شيئاً غير معقود بغيره ولا مقتض أسواه فالكلام باق على تمامه قبل المزيد عليه .)» .

والباب الذي ذكرته هنا في الكتاب صغير جداً ولا يفوق ورقة لكنه جيد ويدعم كلامنا هنا وكي أشوق للكِتاب أكثر ، اذكر أبواب طريفة ورائعة منه لكنها نحوية ولغوية فتكتسبون فوائد لدى مطالعتها ، ومما اخترته منها :

١- باب القول على أصل اللغة أَإِلهام هي أم اصطلاح؟ تعليق : وهي مشكلة عويصة لغوية وانصح بقراءة فلسفة اللغة (الذي يقول تمهيده انه ١٠ كتب في ١ ، وهو رائع من افضل إنجازات المنظمة العربية للترجمة ، يمكن تجاوز بعض الفصول التقنية والاستفادة من الفصول التي تهمك فقط لأنها منفصلة) ، إضافة إلى بحوث ودراسات (امبرتو ايكو) المنتشرة .

٢- باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة . تعليق : وهذا الباب يعني بلغتنا الحالية : فهم لماذا علينا الاعتناء بكل هذا الزخم من فعلون ومفاعلين ومستفعل؟ وهل هو مفيد حقاً والرد على من لا يعتقد الفائدة في ذلك .

٣- باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني . تعليق : جميل جداً !!

٤- باب في هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو لا؟ . تعليق : سؤال يهم كل من له علاقة بالشعر .

٥- باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . تعليق : من أروع الأبواب وهي ترد على شبهة أن القرآن به ألفاظ أعجمية كإستبرق وسندس وقسورة . . الخ .

٦- باب في الاشتقاق الأكبر : أهم أبواب الكتاب وأروعها وهو نظرية عبقرية لابن جني . وأترككم تكتشفونها لوحدكم . . بحر رحب حرب . . حبر !!

٧- باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني . باب جميل جداً قال عن هذا الباب : «هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به .»

٨- باب في شجاعة العربية .

٩- باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف .

١٠- باب في التراجع عند التناهي . (باب جيد)

١١- باب في قوة اللفظ لقوة المعنى .

ونقول تنبيهاً أن الاختيارات شخصية وحسب الذوق وننبه أيضاً إلى أن الكتاب ليس سهلاً تماماً على الأقل يجب أن يكون لديك الأساس الأدنى للغة العربية كي تفهمه . إذ أنه يستحيل على أي أجنبي تَعَلم اللغة العربية أن يفهم أي حرف مما يقول هذا العَّلامة . . زد على أن الكثير جداً من العرب لم يفهموه زيادة على أنه غير مدروس بشدة كدراستنا لدي سوسير ونعوم تشومسكي رغم أن له نظريات أي العلامة بن جني دقيقةٌ جداً ورائعة .

المهم سأتي الآن إلى كأس الشربات كي نتأمل فيه فنقول انه إذا ملأت كأساً من العصير أو الشربات أو غيره للغاية فانه من الصعب أن تمسك به وتشربه . . إذ انه غالب الأمر سيتدفق خارج الكوب وهذه خسارة فملؤه إلى التمام فساد له وإسراف لك في تبذير بعض العصير . . فتمام ملؤه هنا عين النقصان . .

وكذلك الشاي . . معظمنا يشرب الشاي ساخناً جداً فإذا ملأت الكوب الزجاجي تماماً وكان الشاي ساخناً فانه لا يمكنك حمل الكأس إلى أن يبرد أما أن ملأته وتوقفت قبل أن تملأه تماماً كي يتسنى لك أن تحمله من أعلاه . . كان يبدو ذلك نقصاناً من الشاي لكنه عين الكمال لأنه مؤدي للمهمة لك ويمكنك من شرب الشاي . . فالنقص هنا كمال والكمال هناك نقص . . إذ أنهم يختلفان بحسب درجة الرؤية والعلم .

سؤال : لم قلنا كأساً ولم نقل كوب؟ الجواب : الفرق بين الكوب والكأس : يطلق لفظ الكأس على الكوب المملوء بالشراب فقط ولا يشترط ذلك في الكوب ولهذا لم يأت لفظ الكأس في القرآن إلا للكوب المملوء شراب .

في العربية كل لفظ في مكانه فحتى قعد ليست مرادفاً تماما لجلس ، وأترككم مجدداً تبحثون عن الفرق بأنفسكم .

وقتٌ هادئ مع تولستوي..

رؤية حقائق تعرفها متحققة واقعاً أمامك ، تعطيك سعادة رائعة حتى لو كنت تعلم يقيناً بها من قبل ، فمجيء مولود ليس كعلمك انه سيأتي ففرحة وقوع الشيء : شيء آخر منفصلِ عن العلم به ، فالله منذ الأزل كان يعلم العالم لكن لما خلقه فَرِح به فـ (الله مبتهج بذاته) كما يقول ابن سينا وهذا العالَم إنما هو تجليات له سبحانه ، وكل الأنبياء بشروا بسيد الخلق عليه السلام بدءاً من سيدنا آدم عليه السلام ، لكن ما فاز بالفرحة بقدومه إلا أُمته التي هي نحن ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ آية ٥٨سورة يونس ، وانظروا إلى التوكيد بحروف (ف) وَ (ب) وَ (ف) وَ (اللام) أكثر من مرة إنها آية جميلة جداً ، وهناك من يقول قد أمرنا الله عز وجل بالفرح بفضله قبل أن يذكر الرحمة التي هي سيدنا محمد عليه السلام فنقول انك غفلت عن قول (قل) أي يا محمد لأمتك ، فهذا يدل على انه عليه السلام أصلُ ذلك الفضل إذ لولا هو لما بلغك ثم ختم بأن قال لك افرح برحمته فدل أن الفضل مغمور ببركات سيدنا محمد عليه السلام فهو بين (قل) وبين (الرحمة) التي هي عين سيدنا محمد عليه السلام ، ثم انه ربما يقول القائل انه لا دليل ظاهر انه يتكلم عن

الذات المحمدية بقوله الرحمة ، فنرد بالحديث المعروف عنه عليه السلام (إنما أنا رحمة مهداة) . . وانظر إلى العظمة الربانية لم يقل رحمة فقط بل رحمة مهداة ولا يُهديك هدية إلا من يحبك ، فالله تعالى محب لهذا العالم مريد لخيريته سبحانه وتعالى والحمد لله كل آنٍ وحين .

والآن سنقول أنه بحسب حجم وكمية ومكانة تلك الحقائق تكون سعادتك . . لذا فالكثير يعرف أن دين الإسلام على حق لكن رؤية منصفين يقولون عنه شيئاً جميلاً تشعرك بسعادة كبرى . . وسنضرب أمثلة على ذلك . .

كان الكثير من أصدقائي لا يرضون بمعرفة النتائج النهائية للامتحانات النهائية بالهاتف أو بالقول حتى رؤيتها بأعينهم (لم؟) لأنه كما قلنا رؤية وقوع الشيء ليس كالعلم به أبداً . . ورؤية وقوعه أن كان حسناً أفضل الأشياء . . لذا توجد أمور يقول لك الكبار (انه لن تفهمها جيدا إلا أن وقعت لك) . . ولهذا خلق الله العالم أي (أوقعه) من العالم العلوي إلى الواقع ولذا سمي واقعا لأنه وقع . . ولذا فالله عز و جل يرى هذا العالم كاملاً تماماً لأنه صنعته والذي يرى النقص؟ انه فعلاً موجود لان النقص نفسه طلب من الله أن يوجده وأين سيوجد هذا النقص كشيء ما أن لم يكن في هذا العالم؟ . .

والمهم أن معرفة الشيء ليست كوقوعه والإحساس به ، حتى -كما قلنا- لو كان علمك أو معرفتك بالشيء بيقين تماماً ولا يرقى لها الشك فيبقى الوقوع شيئاً آخر . . والسعادة تكون

دوماً هي نتاج ذلك التطابق بين المعرفة والواقع لذا الكثير يتكدر لما يخالف المعرفة الواقع وهي أصل وأساس إشكاليات الفلسفة كلها . .

لذا فهذا كله يفسر فرحتك لما تقرأ مقولة ما لعالم يمدح نبيناً عليه السلام ، نحن لا نتعلم معلومةً جديدة ، نحن نفرح لوقوع الحق ويحق لنا بنص الآية لذا فإننا نلتذ جداً بكل تلك المعلومات التي تثبت لنا صدقنا . . وفي الحقيقة العالم كله والكون لمن كان يفهم كتاب كبير في مدح الذات المحمدية حتى أن البعض لاحظ أن شكل البشر (قامتهم) هو على صورة حروف كلمة محمد عليه السلام ، ولما قال سيدنا محمد عليه السلام في الحديث الصحيح «خلق الله آدم على صورته» . وآدم إنما هو صورة محمد عليه السلام لأنه كما قلنا يشكل بجسمه حروف كلمة محمد ، كانت النتيجة أن سيدنا محمد هو الذي على صَوّرة الرحمن أي خليفته الأعظم وسيدنا وملاذنا وقدوتنا وكل شيء إذ هو الحاجب الأكبر بيننا وبين الله عز وجل حتى انه لا دخول على الملك الأعظم إلا من بابه وبواسطته عليه السلام .

ولو فهمت هاته الحقيقة التي ذكرناها مباشرة في رأس المقال (رؤية حقائق تعرفها متحققة واقعاً أمامك ، تعطيك سعادة رائعة) عرفت سر قول سيدنا عليه السلام «أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ .» فهو عليه السلام أكيد يَعرِف والصحابة أجمعون ونحن ، لكنا كما قلنا عن لذة وقوع أشياء نعرفها فنطق بها

صلى الله عليه وسلم والقصة كاملة هي :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ يَهُودِيٌّ وَكَانَ يُسْلِفُنِي فِي تَمْرِي إِلَى الْجِدَادِ وَكَانَتْ لِجَابِرٍ الأَرْضُ الَّتِي بِطَرِيقِ رُومَةَ فَجَلَسَتْ فَخَلَا عَامًا فَجَاءَنِي الْيَهُودِيُّ عِنْدَ الْجِدَادِ وَلَمْ أَجُدَّ مِنْهَا شَيْئًا فَجَعَلْتُ أَسْتَنْظِرُهُ إِلَى قَابِلٍ فَيَأْبَى فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ امْشُوا نَسْتَنْظِرْ لِجَابِرٍ مِنْ الْيَهُودِيِّ فَجَاءُونِي فِي نَخْلِي فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُ الْيَهُودِيَّ فَيَقُولُ أَبَا الْقَاسِمِ لاَ أُنْظِرُهُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فَطَافَ فِي النَّخْلِ ثُمَّ جَاءَهُ فَكَلَّمَهُ فَأَبَى فَقُمْتُ فَجِئْتُ بِقَلِيلِ رُطَبٍ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ أَيْنَ عَرِيشُكَ يَا جَابِرُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ افْرُشْ لِي فِيهِ فَفَرَشْتُهُ فَدَخَلَ فَرَقَدَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فَجِئْتُهُ بِقَبْضَةٍ أُخْرَى فَأَكَلَ مِنْهَا ثُمَّ قَامَ فَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَقَامَ فِي الرِّطَابِ فِي النَّخْلِ الثَّانِيَةَ ثُمَّ قَالَ يَا جَابِرُ جُدَّ وَاقْضِ فَوَقَفَ فِي الْجِدَادِ فَجَدَدْتُ مِنْهَا مَا قَضَيْتُهُ وَفَضَلَ مِنْهُ فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَشَّرْتُهُ فَقَالَ «أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ .»

وكي تتذوق معاني جميلة من هاته السعادة التي تكلمت عليها . . هناك كتاب حِكم النبي محمد عليه السلام للأديب العالمي الروسي : تولستوي في كتاب صغير طيب جميل يمنحك وقتاً هادئاً وجميلاً .

الرواية أم الفيلم؟

الرواية أكثر روعة من الفيلم . . حتى لو كان الفيلم يحوي أعظم الممثلين وأروع التقنيات . . نعم نستمتع لكن روعة الرواية تتمثل في إطلاقها ، في القراءات المتعددة ، في خيال القراء ، حتى في خطأ التأويل والتحريفات . . فلما تقرأ في رواية ما (كانت هناك فتاة جميلة . . .) ، فكل قاريء يتخيلها بشكل ما . . أن كان مراهقاً ويحب بنت الجيران فهي . . وإن كان كبيراً ويستمع للأغاني فستكون ربما نوال الزغبي ، إن كان متزوجاً فربما يتخيلها أي امرأة ما عدى زوجته . . وهكذا تخيل مليون قارئ ورواية واحدة إذن لديك مليون قراءة شديدة التنوع وشديدة الروعة وهذا يبهر الكُتاب فعلاً ويشدهم للكتابة . . فهناك تكون الرواية عدة خيالات غير منحصرة في شيء واحد . . أما أن مُثلت فقد حُددت ووضعت في قالب تفسيري واحد -يقيد الإطلاق الذي منحه الأدب للكُتاب- ولهذا التمثيل السينمائي يُنقَد بشدة أدبياً . . على كل حال هناك روائع سينمائية غالباً ما تكون مبنية أساساً على نصوص تم تأليفها للسينما كَكُل . أي مكتوبة خصيصاً وهذا أمر آخر . . وتلك تكون أبدع من تحويل الروايات المميزة الأدبية إلى أفلام فضلاً على أنواع أدبية عصية تماماً على التحويل . . مثلا التحول لكافكا . .

الحقيقة أن الكثير الآن تنبه إلى أن الأدب المنسوب للكتّاب المعاصرين ، ليس أدباً بمستوى رفيع . . وإلى أنه سحابة صيف عابرة لن تدوم في الأدب العربي ، وليس أُدبائنا المعاصرون فقط ، بل كل الكتاب الأجانب البست-سلر الذي صعدوا دون أن يكون لهم رصيد كاف حقيقي من الأدب . . إنه تضخم أدبي سرعان ما سيكشف عن حقيقته بمجرد احتكاكه مع أدب حقيقي قوي والكثيرون قلنا بدؤوا بالتنبه ، كيف؟ لما توسعوا في الاطلاع على الآداب الأخرى العالمية . . وفي أول الكتاب قائمة قصيرة وليست كاملة لكنها مهمة كبداية لك في هذا الموضوع .

قراءة في كتاب:
متعة اكتشاف الأشياء - ريتشارد فاينمان

حصل هذا الكتاب - الذي هو عبارة عن محاضرات متعددة لفيزيائي أمريكي حاصل على جائزة نوبل- على الكثير من المدح الذي يستحقه فعلاً . . لأن فاينمن أثبت وبجداره أنه يفقه ما يشتغل عليه بعقل موسوعي فضولي باحث نَهِم لا يكِّل عن تقصي الحقائق بغض النظر عن آرائه في الدين والمتيافيزيقا فهو لم يحدد رأيه بثبات فيها ، إنما قال أن على الإنسان العلمي ألا يتخلى عن شكه . . أنا أظن أن فاينمان لم يسمع عن قول سيدنا النبي عليه السلام (نحن أولى بالشك من إبراهيم) ، وهو شك وجودي يقود لحقيقة الحقائق وهي الله ، أتينا بالحديث إثباتاً أن الشك دليل إسلامي أصيل ، لكنه طريقٌ فقط مؤدي للحقائق ، وليس منهاج حياة . . فأنت حتى لو كنت تشك في كل شيء ، سترضى بمسلمات ما مؤقتة . . إلى أن تصل إلى اليقين . .

المهم ، ما لفت انتباهي في هذا الكتاب أمور منها :

١- بعد أن رأى فاينمن أول انفجار تجريبي للقنبلة النووية ، لما عاد إلى المدن ورأى الناس يبنون الجسور . . كاد يصيح بهم أن هذا عبث فكل شيء فان وكل شيء سيهدم !! أظن أن

هاته كانت صحوة فكرية أو لمعة صوفية ما فأنت رأيت هول انفجار قنبلة ذرية فقلت ما قلت . . فما رأيك بمن طالع قيام الساعة؟ . . أليس من حقه البكاء على من يتطاول في البنيان؟ ! (الزاهد مالك بن دينار تاب لرؤيته ابنته تنقذه لما قامت القيامة في المنام ، ومن ثمّ تزهد وأصبح من أكابر الزهاد)

٢- كان والد فاينمن هو من غرس فيه بذرة التفكير العلمي الصحيح ، وفي قصة طريفة لهما لما كانا في الغابة سوف تقرؤونها في ذلك الكتاب . . الطريف الآخر هو أن فاينمان حكى بدقة أن أباه قال لأمه لمّا كان صغيراً جداً (إن ابني هذا عالم) . . وقد كان كذلك . . لذا لا داعي للاستغراب من أولئك الذين يدعون العلم من القصص التي يظهر فيها من يقول للعظماء انهم سيصبحون كذلك بعد فترة من الزمن كما قال ابوطالب في سيدنا النبي عليه السلام (سيكون لابني هذا شأن) فها هي قصة حديثة جداً من سنوات التسعينات تحكي مثل هذا الأمر ، وأبوه ليس متديناً أو ذو عقائد إلهية ما . .

٣- الكتاب يشرح المواضيع العلمية المعقدة بصيغة مبسطة ورائعة جداً ومرحة . . ولن تحس بالوقت لما تقرأه لسهولته . . يمكنك تجاوز المحاضرة التي تتكلم عن الحواسيب وذلك لامتلائها بالمعادلات التقنية والمملة فيها . . باقي المحاضرات قصص ومعلومات وطُرَف ممتعة .

ناب-ليون

ابتعتُ جهازاً لوحياً جديداً ذا شاشة اكبر وهكذا ، أصبحت حياتي الأدبيَّة أفضل لأنه يمكنك أن تقرأ الكتب بشكل جيّد . . حياتي الأدبية «مصطلح» لا معنى له لدى الكتّاب الحقيقيين . . إذ أن الأدب هو كل حياتهم ، ولا يوجد لديهم ملفات منفصلة كل واحدة فيها تكون حياة أدبيّة وفنية ومالية وسياسية ، تلك للأكاديميين ، أما الكُتَّاب فكل شيء متعلق بالتفكير والتفكير متعلق بالكتابة : الورقة والقلم .

طبعا اختلف العصر كثيراً . . لم تعد هناك ورقة وقلم بالضبط رغم أن مسمياتها بقيت ، فما زالت واجهات المواقع تسمى صفحة والواقع انه يمكن أن نلاحظ بعد زمن طويل جداً مشكلة أن أحفادنا لا يعرفون لماذا تسمى المواقع بصفحة ويب؟

الأجهزة اللوحية تعتمد على الزجاج في أدائها ، وفي حديث غير منتشر كثيراً يقال أن بن عباس الحَبر الرباني عندما كان صغيراً قدمت له أم من أمهات المؤمنين مرآة فرأى فيها وجه النبي عليه السلام . . . في ذلك العصر هذا الحادث يدعى كرامة في عصرنا يدعى تكنولوجيا . . يقول كثيرون من بينهم مؤلف «السر الأعظم» انه في الزمان القديم جداً كانوا متفوقين علينا تكنولوجياً ، ففي مدينه بعلبك قطعة صخرية تزن ثمانمائة

طن لا يمكن تخيل أن القدامى قاموا بإنجازها . . على كل في النت هناك الكثير من الوثائق خرجت لنا الآن فحسب . . بعض الذين يأتون متأخرين يظنون أنهم أتوا متأخرين جداً والأمر هو أن هناك عقلاً جماعياً و فكراً جماعياً يوجه الأمور . . لذا فالأفكار لا تنتشر بالعمل الجاد والتفكير الدائم في النجاح إنما عبر موجات وهذه الموجات تأتي من عقل جماعي إنساني واحد شديد العشوائية وشديد التنظيم . . إذ أن العشوائية نفسها خاصية من خصائصه ومن الصعب جداً فهمه على ما هو عليه لأن عقولنا جزء منه أصلاً .

ولنوضح فكرة أن الأمر ليس متأخراً لنقل أن رواية سرفتانس رُد لها الاعتبار في القرون المتأخرة . رواية تريستام شاندي ورواية موبي دك لهنري ملفل فهرنهايت لبرادبيري . . . وكمعاصرين كتابات سيوران التي رد لها الاعتبار بدءاً من التسعينات فإذن ليس هناك تأخر ، إذ أن الاهتمام الأبدي بالأعمال الأدبية يتعرض لموجات وموضات ورد اعتبار وغيره من الأمور بشكل منطقي وبديهي ، وفي عصر الثورات هذا فقد رُدَّ الاعتبار للكثير من الشخصيات الثورية إذ أننا كأناس عايشوا ركوداً تاريخاً ضخماً بجثوم دكتاتوريات أبطأت وقوع الأحداث حتى لم نعد نعرف هل دولاب التاريخ يسير أم أن عطلاً ملعوناً أصابه ؟؟ ، أما الآن ولما قام العالم العربي بالثورات ولن أبدي رأيي حول تأييدها أو معارضتها أو غيرها لأنني أتكلم عن الحدث فحسب ، فعندما حدث هذا فان الكثيرين الآن

فهموا ما معنى ثورة وماهية مشاقها وأنها ليست عملاً سهلاً أبداً ، وأعيد تقييم القدامى لأننا أحسسنا بمقدار جهودهم . . الكثير يعرف تشي غيفارا الآن ، لكن الشباب العربي الآن يحس به ، لكننا نقول أيضاً كملاحظة بسيطة أن الثورة دون علم أو لنقل دون مرجع أيديولوجي ، دون ثقافة لا تؤدي لشيء وهي فقاعة كبيرة وليست ثورة ، لا أتكلم عن الثورات العربية فحسب أن كانت أصلاً في ميزان التاريخ تعتبر ثورات ، أتكلم عن الثورة الفرنسية والمجازر البشعة التي أقيمت بعد فوز الثوريين ، لدرجة انه بعد سنوات قليلة لم تعد المملكية فحسب بل أصبحت إمبراطورية حكمها إنسان داهية ضئيل الحجم ، وغد ، ذكي نابه اسمه ناب-ليون .

لنعد للأجهزة اللوحية التي قلنا أنها تعتمد على الزجاج كمادة أساسية ، أنا أتحدث في مبدأ العمل أو لنقل على ما الذي تعتمد عليه من ناحية المستخدم فهي تعتمد على الواجهة الزجاجية والزجاج مكون من ثنائي أكسيد السيليكون الذي يمثل الرمل .

الرمال إذن تجتاح العالم على شكل أسطرلابات يدوية تدعى هواتف ذكية ولوحيات .

هل كان السومريون أذكياء لتلك الدرجة؟؟ وإلا فما الفرق بين قارئ كندل حديث وبين لوح صلصال سومري؟

الأدب الغرائبي

الغـرائبي في الأدب هو أدب الدهشـة وأدب العـجـيب . . «الأدب الحـقـيـقي» في نظري . . ويسـمى أيضا بالعـجـائبي . . هناك الكثير من الآداب التي تدعى فنتازية . . أو كتب خيالية كما في تصنيفات المكاتب لكن ميزة الأدب الغرائبي في نظري هو انه مـوغل في الـفنتـازيات موغل في اللا مـتـوقع مـوغل في الدهشة الطفولية .

من هذا الاعـتـبـار ، العـالم بالنسـبـة للطفل هو عـالم غـرائبي بامتياز لأن كل شيء جديد عليه . . لهذا من الصعب على من يكبـر أن يحـافظ على اندهاش الطفولة لأن التـعـود على الأشـيـاء يقـتلهـا . . ومن هذا المنطلق فـإن من مـهـمـات الأدب الغـرائبي تفتيت الألفة اليومية ، تدميرها تضخيم الدهشة العودة بنا للحيرة الأوليـة . . الأدب الطفـولي من مـجـمـوعـة حكايات غـريم إلى قـصص اندرسن للقـصص الحـديثـة كلهـا آداب غـرائبـيـة وهي مـدهشة دهشتين لأن الطفل أساساً لم يزل لا يعـرف العـالم ويبـدو له فنتـازياً ولا يعرف كـيف تسيـر الأمور مع ذلك تقدم له القـصة غـرائب وتشـويه ممتع لـهذا العـالم والتـلاعب بالمنطقـيـة . . نظن أن الفكـر الطفـولي غـيـر منطقي . . هذا خطأ الفكر الطفـولي منطقي لكنه لا يحب أن يتـقـيـد بهـذا الفكر كي لا يقـتـل استـمـتـاعـه

بالاندهاش . . أحيانا عندما نقرأ قصة خيالية ونعمل المنطق نفسدها تماماً . . لنقل أن إدهاش الأطفال أيسر من البالغين (سيصرخ كتاب أدب الطفل قائلين لا!) لأن القابلية موجودة . . أما البالغين فمن الصعب . . . لذلك الأدب الغرائبي وكما عرفناه انه مولد للدهشة من أصعب الآداب كتابة ككل . .

أدب كافكا هل هو غرائبي؟

قد نجيب الآن حول تساؤل لم كل هاته الضجة حول كافكا؟ الجواب ذلك انه أعاد الدهشة والبهجة لروح الأدب . . كافكا؟ الحزين والمنطوي وصاحب الروايات المأسوية . نقول لكم أن هذا تفسير من التفسيرات الشائعة غير صحيح . . معروف أن كافكا لما قرأ الورقات الأولى من الانمساخ على جمع أصدقائه المقربين اغرقوا في الضحك . . لا نقول أيضا أن أدب كافكا مضحك . . لوصفه يوجد مصطلح أدبي الآن انه «كافكاوي» وحسب . الأدب الغرائبي ولنذكر هنا أسماء كي ننوه لهم ولن نذكر فقط الغربيين بل دعونا نبدأ بالعرب . . لدى واسيني الأعرج وبوجدرة رشيد محاولات روائية في هذا الأدب . . الأديب الروماني الجزائري افولاي ابوليوس له رواية التحولات أو الحمار الذهبي التي هي درة الروائع العالمية الروائية ولنصحح هنا خطأً شائعاً جداً بأن الرواية بدأت مع سرفانتس . سرفانتس عظيم بأدبه فعلاً ودون كيشوته جيدٌ جداً لكن افولاي المدعو بابوليوس لوقيوس العام ١٨٠م هو الأول . . طبعا ذكر المؤرخون

روايتين ضاعت قبله ولم تصلنا . . وقد يتكلم عراقي ويقول أن كلكامش هي أول رواية . . لكن نرد عليه بلطف أن كلكامش ملحمة وليست رواية . . التحولات للوقيوس تقرأها كأنك تقرأ رواية كتبها معاصر لك (نتكلم من ناحية الكتابة الروائية والنضج الفني العالي جداً) . . هناك أيضاً كليلة ودمنة ، ألف ليلة وليلة ، وسيرة سيف بن ذي يزن وبعض السير الشعبية الأخرى . . في العصر الحديث أظن أن ع الحليم يوسف في مجموعاته القصصية أحرز أدبا غرائبياً جيداً . . قد يقول البعض انه أدب تجريبي سريالي وهو كذلك وما السريالية إلا مولد كبير للغرائبية .جمال الغيطاني في وقائع حارة الزعفراني ورحلة بن فطومة لنجيب محفوظ دعونا نقل أن كتاب بن بطوطة الحقيقي نفسه في بعض أجزائه ومروج الذهب يحتويان أدباً غرائبياً مميزاً . . في الأدب الغربي كتابات كثيرة تنتمي للأدب الغرائبي . . منها أول روايات الرعب القوطي (نوع من الرعب يعتمد على الإدهاش الغرائبي إلى جانب الرعب) ادجار آلان بو . لافركرافت . ستيفنسون . الآن رادكليف . . وآخرون . . حديثا كتابات بورخيس ، كافكا بعض كتابات صمويل بيكيت وآخرون مثل ثلاثية نيويورك لبول اوستر وهذه حديثة نسبياً .

أمنية أخيرة لعربي:

«الحاجة إلى الاندهاش» أو الحاجة إلى الدهشة أو التعجب هي احتياج نفسي بالغ في الإنسان . . بالغ لدرجة أن أحد سادة العرب يوماً سُئِل ما تشتهي؟ . . قال أن أكون تحت ظل شجرة في الصحراء وان يحدثني صحبي بالأعاجيب .

لماذا؟ جمانة حداد

في أمان الله كنت أطالع كتاب لصوص النار لجمانة حداد . . ومن الممتع أن تقرأ لأحد لا تعرف عنه شيئاً فيكون الإبداع كبيراً . . انه يربي فيك الأمل أن هناك بضع كتب جيدة متبقية في هذا العالم -السيء غالباً- أو يقول البشر عنه انه كذلك . .

لكن في عصر النت فإنه يمكن أن يشغفك الفضول فتحب أن تعرف من هي جمانة حداد .على كل كتاب لصوص النار -ابتداء من العنوان المقتبس من المتشرد الشاعر رامبو ومتشرد ليست للإهانة لأني في روايتي الغرائبية منحت الاسم لشخصية محببة لي- . . يحكي عن لقاءات الشاعرة بكتّاب عالميين كبار ومن وزن ثقيل ودعني اضف قبل أن يتفضل ويدعوهم هاديس للعالم السفلي . .

لكن نتائج النت (مع ما تأتي به من فجائع لأصحاب البكالوريا والبورصة) . . أتتني بمقال جيد وممتع الحقيقة . . بعنوان لماذا أنا ملحدة؟ . لجمانة . . (اسم جميل) . . هذا بعد أن قرأت سريعاً أنها مولودة في السبعينيات وتتكلم بطلاقة ثلاث لغات وشاعرة وصحفية بجريدة النهار اللبنانية . .

قرأت المقال كاملاً متكاملاً .ودعني اقل أن انطباعي الأول لأي أنثى هو أنني كـ يونس بن عمارة لا يمكن أن أتخيل أن

هناك امرأة في هذا العالم -مهما كانت- لا تؤمن بالله . (ليس الله الذي يتصوره الليبراليون أو الملاحدة أو غيرهم) . . أعني بعبارة سيوران بالمطلق . . ومن ناحية لا يمكن لأي إنسان إلا أن يؤمن بالمطلق . . الحاجة للمطلق لا تسد . . حتى لو كان هذا المطلق «كتابة» . . هناك دائماً شيء لا مرئي نؤمن به . . وهو مهما كان : الله باسمه الباطن . . زد مع أنني لا أؤمن انه يوجد نساء كهؤلاء وبالأخص بحساسية أدبية ورهافة فكرية مثل جمانة . . فإنه من الصعب على قلبي تلقي مقال مثل «لماذا أنا ملحدة» . . ليس لأنني احب الله فقط . . بل لأن قلب الأنثى هو نفسه محل وجود الله . فالإنكار هنا يتخذ ألما لي لأن مكان المحل هو الذي ينكر الوجود . .

وبعيدا عن أدبها الرفيع ، الصحفي والأدبي والشعري . . فإنها في مقالها هذا . . أتت بعدة أدلة من الديانات . . تنتمي إلى كتابات مراهق فكري يستعرض معلوماته ، عسى أن يحظى بالصدمة اللذيذة وفغر الأفواه التي تتمتع بالجهل وعسى أن يحدث ضجة فكرية في أدمغة لم تفكر مطلقاً بمثل هاته الأسئلة . . أُقدر لكِ ذلك ست جمانة . . لكن الأمر هو أن هذا المستوى ليس مستواكِ بغض النظر عن الردود .

من الجميل أن تحدد وبدقة أسباب لا دينيتها وعدم إيمانها بالله . . وهي أنها كانت تحس بالمهانة أن انتمت لهاته الأديان . . اعتبرت أن انتمائها لدين ما يلزمها ضرورة بكل أقواله بكافة طوائفه .: . وهذا ما تناسته عندما قامت بمقابلة مع

باولو كويليو الذي قال بصراحة أنا إنسان كاثوليكي . . لكن لست كاثوليكي بالمعنى الذي تظنينه .لِمَ تعتقد جمانة أن كافة المسلمين يرون أن حديث الحصول على الحور العين ملزم؟ . . أبداً . . الفقهاء تكلموا عن أن من ينكر وجود الجن يبقى مسلماً كذلك الملائكة واختلفوا في من انكر نبوة نبيّ لم يرد ذكره في القرآن . . وفصلوا تفصيلاً شديداً . . قد يتكلم هنا البعض من المتدينين عن دين بالمقاس أو أَتُؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . . الرد هو : ليس الأمر كذلك هاته الأمور محل اتفاق . إنكار بعض الأمور ليست من الأسس في الدين لا يفضي للكفر بالله . . والإيمان ببعضها أيضاً لوحدها لا يؤدي للإيمان .فإمساك حديث واحد مثلاً كالحور العين -ودائماً ما يجلب الجنس على أساس انه الموضوع المفضل والأمثل وان العرب يعانون بشدة بالغة من الأمر- . . قلنا جلب حديث كهذا والتكلم عن وصف الجنة لابن كثير وعن الذَكر الذي لا يكل ولا يمل . . والمئة من النساء التي لم تحدث حتى في اكثر الأفلام البورونوغرافية خيالاً وفنتازياً . . جَلبُ مثل هذا وسحبه على الدين كله ونسبه إليه يولد في نفسي الأسى . .

الكثير فعلاً ، يجب التنبه (ليس من باب الإنذار بالخطر بل من باب التفهم) اصبح ملحداً .هناك أصدقاء وأناس نعرفهم لا يؤمنون بالله وفقط يتعاملون مع المظاهر الاجتماعية التي غالباً ما يصفونها بالمنافقة والمزيفة . . في نظري تقبلهم واجب . . وعددهم فعلاً في ازدياد في ظل الحاجة إلى المطلق وعدم وجود

أجوبة عن التساؤلات ، هاته حقيقة لا يمكن للمتدينين المسلمين وغيرهم أن يغضوا عنها الطرف وفي عصر النت صدح الكل برأيه واصبح الرأي مُتاحاً ونفّس عن الكثيرين وهذا في نظري حسنٌ جداً . . ففي الأخير لن ينتصر إلا العلم والمعرفة .

يظن الملاحدة والكثير منهم أن القضية قضية معرفة وجنس من عهد آدم وهي ليست كذلك . . القضية يا أصدقائي هي قضية علم من أول لحظة . . علم الله اللانهائي أخبر بخلق آدم ثم خلقه . . رجم الملائكة بالغيب . كذّب الله ظنهم . . علّم آدم الأسماء كلها . . وانزله للأرض فقط كي يتعلم ما لم يكن يعرفه . . في رحلة نهايتها العودة إلى الله . .

سواء كنت تتبع ماركس أو غيره أو أي منهج ثوري ليبرالي شيوعي . . لا يمكن إلا أن تؤمن بالمطلق سميت ذلك ديالكتيك . . (هيغل) أو قضية الوجود (هيدغر ولأفتح هنا قوسا . . طبّل الكثيرون لهيدغر حتى تورّم رأسي منه انه أتى بقضية الوجود الفلسفية والتي تسمى بالاسم المزخرف الكريه الدزاين . . بينما بن عربي والجيلي (كفلاسفة .أحكي كفلاسفة! ومفكرين وليسوا كأفراد من النسيج الإسلامي . . تحدثوا عن قضية الوجود بدقة كبيرة ولم يذكروا بهكذا ذكر على نحو ما فُعل بهيدغر . . فأين الأمانة العلمية؟) . . الإيمان بالمطلق أياً كانت تسميته لا يمكن أن يتجاوزه أي إنسان مهما كان . . وهذا هو الرد على إنكار وجود الله . . ولما نثبت المطلق فإن أي شيء بعده يمكن إثباته به . . لأنه السابق ولأنه اللاّحق ، لأنه ما سيبقى .

سؤالكِ لباولو كويليو عن سبب المجاعات ، موت الأطفال وغيره . .؟ أجاب عليه توما الاكويني المسيحي وقبله الغزالي وبن رشد . . ودعينا نقل انه موضوع قديم لكني أجبت عليه أنا في شكل حديثٍ ومعاصر في القصة الغرائبية (نوفيلا) وتم الإجابة عليه قبلي في كتاب ديني مغربي اسمه جواهر المعاني أن بعض الأفراد والأحداث ما هي إلا صور إلهية لا حقيقة لها . . فنحن أحيانا نعترض على اللاّشيء . ولا يمكن للإنسان أن يثبت -فلسفياً وتجريبياً ومادياً- سوى وجود نفسه . . أما الآخرين فبالتعدية فقط أي انه لا يثبت وجودهم بل يتقّبل فحسب وجودهم رغم انه لا إثبات له عليهم . . وقد يقول البعض أن الأمر عبثي إذناً . . من جهة ما الأمر كذلك فعلاً . الم تقل الديانات . . باطل الأباطيل . وإنما الحياة الدنيا لهو . . لكن من جهات أخرى لا . . وكل شيء متواجد في كل شيء وكل مونادة في هذا العالم تحتوي العالم بأسره بكل تناقضاته . . قد يتعب البعض من هاته الأفكار ويقول لا جدوى إذن من العيش . . الجواب أن العالم جُبِل على هاته الشاكلة وكما يقول العزيز هيوم الذي هو من إنكلترا لا يمكننا إلا -وبالأسف والأسف من عندي- التعامل معه .

لا يمكنني إلا أن أؤمن بالمطلق . . لأنه لا يمكنني أن أؤمن بعشوائية الأحداث . لم تسافري صدفة لكل أولئك الواردين في كتابك لصوص النار . . ولم تجدِ صدفة الوقت والمال لكل ذلك . . ولم تقرِّري انت كذلك . . وفي لحظة من حياتك هناك

صوت قال انك لم تقرري كل ذلك . . وأننا نسير في سكة حديد لقطار محدد سلفاً إلى أين يذهب . . كذلك ابتسمتُ لأني قرأتُ من كتابك أن هانديكه كان يدرس العربية سراً ويقرأ لابن عربي . . الأمر مجدداً ليس صدفة أيضاً . .

لو لم تكن الصدفة موجودة عم يونس . . لماذا اسمها موجود إذن؟ هل نسمي ما لا يوجد ؟؟ . . الجواب . . أن الوجود اعظم قوة واعظم تجلي للمطلق(سواء سميناه الله أو براهماً أو يهوه أو أي اسم آخر) ولما كان اعظم تجل . . فانه أوجد هاته الأشياء العدمية في الأصل مثل الشمس الثانية والقمر الثاني (في رواية من روايات هاروكي) والإله الثاني في عقائد الكثيرين وفي نبوة بعد مولانا محمد عليه السلام كعند البهائيين فهاته الأمور رغم عدميتها موجودة وجوداً سماه ابن عربي «وجوداً رقمياً» أي انه ليس فعلي . . حتى لو كُتبت الكتب وآمنت ألوف بل ملايين الناس بالأمر . . فالأمر يتعلق بما هو عليه الأمر (أي تطابق الفكر مع الواقع بعبارة فلسفية) فهي عدم ولرحمة الوجود المطلق فإنه أوجدها ولو حتى في مستوى من المستويات . .

لما كنتِ تنتظرين في محطة القطارات في انتظار الذهاب للكاتب هانديكه . . كان الرب موجوداً ويرعاكِ . .

المراجع:

١- صحبة لصوص النار . جمانة حداد .

٢- لماذا أنا ملحدة؟ . مقالة لـ : جمانة حداد

قراءة في رواية «نعاس
لـ هاروكي موراكامي

أنهيت لوقت متأخر من الليل ، النوفلا (الرواية القصيرة) المسماة نعاس لهاروكي موراكامي . . أصبحت هناك مجموعات وصفحات مميزة في الشبكات الاجتماعية ، مدونات رائعة تستبق للجديد والماتع والرائع فضلاً عن هذا . . أعجبني أولاً تلك المجموعة الشابة التونسية التي نشرت القصة إذ أخذت على عاتقها تقديم الأدب العالمي الماتع (الممتع) للناشئة والشباب بأسعار معقولة . . هذا أولا هو شيء مهم ورائع وأُحيي كل من أوصل لنا كل هذا . .

أما فيما يخص الرواية ككل . . فلنبدأ برحلتي مع هاروكي موراكامي . . مع الأدب الياباني ككل كانت بداياتي مع (التاريخ السري لاميرموساشي) . . الحقيقة أن هذا الكتاب مميز جدا . . ثم قرأت ياسوناري كاواباتا . . قصتان أو روايتان ثم سازوكي في رائعته التي أذهلتني (بوتشان) . . لذا فإنني جربت أن اقرأ (كافكا على الشاطئ) وذهلت من براعة هاروكي .

بكل نزاهة لم اكن اعرف أي شيء عن هاروكي . . لذا فالرواية لما دخلت فيها عدة تقاطعات بدأت اشعر بالملل . .

الكلام عن الملل لدى عشاق هاروكي موراكامي يشبه التجديف على الرب لدى المتدينين . . لكن فعلاً . . في بدايات تعرفي عليه شعرت بذلك . . لذا هناك (فكرة) مهمة جداً مميزة أشار لها بورخيس هو أننا نقرأ لشخص ولا نقرأ كتاباً وكفى . . فمثلاً لو كان هناك عمل ما لشخص ضعيف ووضعت عليه اسماً كبيراً ولم يفطن أحد لذلك فالغالب الأعم (ما عدا النقاد النحارير الواصلين) سيقول أن الرواية رائعة وعظيمة . . ورويّ في الأدب العربي مثل هاته القصة أي أن أحداً كان متعصباً لشعراء الجاهلية ويكره المولدين (وهم شعراء أبناء الإسلام) فانشد له أحدهم بيت شعر لمولد فاستحسنه ومدح براعته فقال له هذا من شعر فلان المولد فقال والله أن الضعف بادي فيه!! هذه طبعاً مكابرة وعناد والكثيرون من القراء المرتبطين بكتّاب يعميه حب الكاتب عن فهم الأعمال جيداً . .

قلنا أن هذا ما يقع كثيرا مع القراء . . لكن من البداية حتى لو كان أول لقاء لك مع هاروكي ستعرف أن هناك شيئاً . أن هناك خيط عبقرية أن هناك ألمعية في الطرح والتوزيع والسرد وكل شيء . . ولنبدأ في كلامنا على (نعاس) النوفلا التي تكلمنا عنها .

لا داعي -والقصة قصيرة وماتعة جداً- أن افسد أي شيء . . لكن قصص هاروكي ككل (وحكمي هذا إنما نشأ عن قراءات لمقالات (مقالين لهاروكي ، رواية كافكا على الشاطئ ، نعاس ، بلدة القطط جزء قصير من روايته الضخمة q84١ ،

سامسا عاشقاً (نوفلا صغيرة في النيويوركر) فحكمي بارز عن قراءاتي لهذه الأعمال فقط .

حكايات هاروكي سهلة بسيطة لكن حبكتها سوريالية (فنتازية) هذا أمر واضح لكن تبدأ بالواقع ثم فجأة تكون في الخيال دون تدرج (هذا ما يخيل للقراء العاديين) لكن هناك تدرج كبير في الكتابة . . فلا ننزعج مثلا من الحبكة التي تجمع بين الواقع والخيال بل يبدو لنا الأمر واحداً ومتماسكاً . . وهنا تكمن براعة هاروكي .

هاروكي في مقابلة له مع جريدة ألمانية اثبت أن بعض قصصه رواها له رجل كان يراه بوضوح في مكتبه . الأمر جنوني بالنسبة لي لكن هناك الكثير من الهلاوس التي يعاني منها الكتّاب فعلاً . . فرجينيا وولف ، كافكا ، جيمس جويس ، بول أوستر . . هناك مرحلة يكون الكاتب قد صدّق نفسه (وهو يقول انه أُلهم وليس ابتكر) في حكاياته فيعيشها فعلاً وكأنها وقعت أو دعنا نقل يعيد صياغة بعض القصص الحقيقية وهم يبررون ذلك بقولهم من يعرف الواقع على ما هو عليه فعلاً ؟ ؟ لا أحد ، لا يمكن ، انت أصلاً عندما تتذكر لا تستطيع التذكر ، إنما تعيد صياغة الذكريات في ذهنك فهو ليس تذكر إنما إعادة تشكيل في الحاضر لماضي لا نعرفه أبداً الذي وقع فيه على حقيقته . (الفكرة الأخيرة لميلان كونديرا)

لذا فالقليل من التشويه يقول الكتّاب لن يضر بأحد !! لأنه لا أحد يعرف حقيقة الواقع القابع أمام أعيننا .

على كل ، تقاطعات كتابات هاروكي مع سيرته الذاتية واضحةُ جداً للعيان وهذا يعطيها مصداقية وروعة وقوة سبك وسرد ، مثلاً ممارسته للسباحة (تظهر في نعاس وكافكا على الشاطيء) ، مطالعاته المكثفة (كافكا على الشاطيء ونعاس) الأماكن والموسيقى والفنانين المذكورين والكتاب كلهم حقيقيون ونابعون من قراءات المؤلف . . وهذا ممكن أن يعيب على الرواية قليلاً إذ أن النقاد لا يحبون أن يتسرب شيء من قراءات الكاتب إلى شخصياته . . المشكل في الكتابة السردية بقلم شخصية ما انه يفترض فيها أنها تُكتب باعتيادية بالغة . . لكننا نرى الشخصيات الروائية تكتب بروعة روائي كبير! وهذا خطأ فني كبير . . تظهر لك في الروايات دوماً رسائل مكتوبة بصيغ ممتازة كأن الشخصيات نفسها متمرسة على الكتابة بشكل رائع وكبير . . تتحدث عن نفسها بكل أريحية وتجلب استعارات بلاغية لا يفطن لها إلا عبقري (مثلاً وصف الزوجة لنوم زوجها المضحك في رواية نعاس ، ووصف هوشينو للألم الذي حل به من جراء قيام ناكاتا بعمل مساج لظهره) هذان الوصفان بلاغيان ورائعان لدرجة أن عامياً لن يكون باستطاعته صياغته أبداً . . هنا يتغلب الدكتور سالنجر في الموضوع رغم إنتاجه القليل جداً . . روايات أو لنقل روايته اليتيمة ، سالنجر تكلم الشخصيات بكل طبيعية فعلاً وبدون افتعال لقراءات ضخمة ، ولا تكلم بسلاسة كتابية لا تتكون إلا بعد مراس شاق على الأعمال الكتابية التي لا يمكن لشخصيات عادية أن تفتعلها . .

في زوايا رواية نعاس تقرأ بطلة القصة التي تتكلم بضمير المتكلم وتكتب القصة . . القصة ذات صوت أحادي لكنه شمولي كعادة هاروكي ، في هذه الرواية تقرأ البطلة رواية تولستوي - آنا كارنينا - . . وأنا قرأت الرواية وأثرت فيّ تأثيراً بالغاً لدرجة أني لم أقرأ لـ تولستوي لاحقاً أبداً حتى استجمع قواي . . إذ أن آنا كارنينا مرعبة من ناحية القوة . . وبما أنني قرأت عنها عدة مقالات فإني عرفت أن تولستوي في مذكراته تحدث على أن الكثير من حياته صيّغ هناك . . آنا كارنينا دون نقاش هي قطعَة أدبية ذهبية دون الحاجة لحكمي هذا عليها . . هاروكي قدم قراءة مميزة للرواية . . وأبدى لنا تفاصيل ربما تغيب عنا لسبب واضح هو انه قرأها اكثر من مرة وعلى مدى سنوات . . لذا فلفهم (نعاس) بشكل جيد للأسف يجب عليكم قراءة آنا كارنينا لتولستوي مهما كان .

هناك عدة تقاطعات وملاحظات وأمور في القصة منها :
وصف الحياة الرتيبة لربة بيت يابانية عادية (الحياة هي الرتيبة أما وصف هاروكي فممتع . . غالباً ما يرى القراء كلمة رتيبة حتى يهرب من الكتاب . . المشكل ليس في القصة . . قصص دوستويفسكي كلها كما يقال تجدها في أي جريدة يومية . . لكن انّى لك بأسلوب القص الخاص به؟ ؟ هنا مربط الفرس كما يقال .

وصف المشاعر والأحداث بدقة كبيرة جداً . . لدى الروائيين مجهر روائي عظيم ودقة ملاحظة وذاكرة كبيرة .

التحدث عن الحياة العامة لطبيب أسنان الذي هو زوج ربة البيت . . وقد لخَّص الأمر ببساطة في جملة (وهذا ما يسحرك في الروايات . .) فبعد أن اقترضوا ليفتحوا عيادة ورغم أن الأمور تسير على ما يرام إلا انه قال لها . . (تقترض لتشتري آلات جديدة لتربح الزبائن ثم يمضي القليل من الوقت حتى تشتري أخرى ولا يستفيد إلا بائعوا الآلات!) يبدو كلاماً عادياً جداً لكنه في سياق القصة مميز للغاية .

وثم هناك الحادث الغريب الذي هو حبكة الرواية والذي لن أرويه هنا لأنه لا فائدة من فعل ذلك . . وهناك قراءة البطلة لرواية تولستوي (عادات القراءة) وصف كيفية القراءة بشكل دقيق . .

الرواية تنتهي نهاية مفتوحة . . لكنها تذكرك أن كنت قرأت بول أوستر برائعته ليلة التنبؤ . . إذ هي رواية عن كاتب يكتب رواية في الرواية الداخلية هناك شخصية تحتجز في قبو محكم الإغلاق ولا يتمكن الكاتب الذي هو شخصية في رواية بول أوستر من إكمال القصة لإخراجه . .

أظن أن هذا ما وقع لهاروكي موراكامي وهذا ما جعله ينهي القصة بطريقة مفتوحة كهذه . هذا ما لديّ لقوله حول هذه الأمور .

عن الأقلام التي تكتب أطناناً من الورق

«احذر مما تكتبه يوماً . . فلربما سيقع «تعديل» أكيد سيقع»!
في بعض كتابات بول أوستر هناك حكاية عن كاتب تحقق ما كتبه بعد مدة وكان قد كتب أن ابنته أو قريب له سيموت ، لا يستغرب الكتّاب وقوع ذلك حقاً . . الأيديولوجيا الدينية تسمي القدر مكتوباً . . هل لأنه كُتب حتى بشكل مجازي؟؟ المكتوب اعتبرته الأفكار الشيوعية والماركسية مخدراً ومخرباً للتفكير السليم لأنه يولد العجز والاستسلام والكسل . . لكن هذه فكرة خاطئة ، هذه الفكرة طبعاً تمنح الراحة والطمأنينة لكن باستقراء بسيط جداً لكل من آثروا في هذا العالم سلباً وإيجاباً كانوا يؤمنون بأنفسهم جداً ، ويؤمنون انهم خُلقوا ليعملوا شيئاً ما . . ومن بين تلك الأشياء الأم المشاكسة الأم أمريكا . . كل الآباء المؤسسين لأمريكا واعرف منهم لينكولن وفرانكلن كانوا يؤمنون بالرب بالقدر بالمكتوب انهم خلقوا لشيء ما . هذا كمقدمة بسيطة عما أريد أن أتكلم عنه ولمن قرأ العنوان فإنه يبدو كلمات بعيدة وانه من الصعب ربط هذه الأفكار بها . . الأيام الفارطة قرأت بنهم شديد . . قراءتي العادية هي نهم لكن لما أقول شديد فلأني قرأت بتركيز غير أكاديمي العديد من الكتب . . من بينها في أحضان الكتب

لبـلال فـضل ودعـونا الآن نـربط الأمـور لما قلت لـكم أن الأمـور مكتـوب وقـدر . . الكـاتب بلال فـضل نفسـه في كـتبـه الأولي ومن بينهـا ضحك مجروح لما كـان بطالاً واعزب ودعوني أقل (أحـمق تمامـاً) كـانت كـتـاباته تشـاؤمـاً مـقطرنـاً (من القطران) سوداوياً بحتـاً مفـجراً كل كـآبة العـالـم في كـتـاباته . . الآن في كتابه «في أحضان الكتب» وها أنتم ترون أصبحت في عناوين كـتبـه «أحـضان» إذن زوجـة ، يتـجول بهـا في تركـيا يزور قصـر نيسين الكاتب التركي الراحل ويسميه أبوه الأدبي . . يزور وقفه ومـتحـفه وتخيل أن وقـفـاً إسـلامـيـاً كـهـذا يحوي مـتـحـفـاً فيـه زجاجات الخمر الحقيقة أن العديد من العائلات التركية لا تجد أي حرج في الأمر بما فيها عائلة اورهان باموق الذي اسمحوا لي أن أتناوله إيجـار . . لما تكـتب رواية كـاملة يكون بطلهـا اسـمـه (كـا) وتبـدأ تـتـفلسـف أن الاسم لا يرتـبط بـ ك . يوزف الخـاص بالأمـجـد كـافكا نبيٌّ الأدب في القـرن العـشـرين فـانك تكون احمقاً حُمقاً مركّباً . . لماذا الروائيون يتغـابون؟؟ لا تجد لذلك جـواباً . . يكـتب رواية كـاملة عنوان بطلهـا (كـا) . . ثم يقـوم بالادعاء انه لا علاقة بالأمر بكتّاب آخرين بينما موضة كتابة أسماء الأبطال بحروف واحدة لن أقول أن كافكا أسسها بل فـقط هو الـذي كـتب عـبـرها بطريقـة لا يمكن تقليـدها هنا نغلق الملاحظة الأولي ثم نتكلم عن خطاب باموق في تسلمه لجائزة نوبل تحدث بإسهاب وتكلم عن أبيه ثم عن زوجته وابنته ويبدو أن الكثير من الكتّاب قد ابتلوا بالبنات وربي يكون في العون ،

قال انه تطلق من امرأته ثم أنا وابنتي وهي أعز الأصدقاء!! . . هنا الجدير أن نضحك ، لكن الحقيقة أن هذه الكلمة أقلقتني – أحياناً قليلة أنفعل مع ما أقرأه– وهذه الجملة تستغبي القارئ فلو كنت صديقاً يا سيد اورهان لما تطلقتم ، زد واسأل كل المطلقين ، على أني أراهن بمليون دولار على ذلك أن عبارة كهذه من المطلق غير صحيحة بالمرة هناك غِلٌّ و حقد و بركان من المشاعر السيئة لا ينزع إلا بسبع عشرة عاماً من تأمل اليوغا في ثلوج التبت ، ولا أظن أن أورهان سيقوم بهذا . .

إذن نعود للعزيز بلال فضل الذي تركناه يلمس زجاجة الخمر التي كان يشربها نيسين ثم يتكلم طويلاً عن أب الأيتام هذا الذي يشرب الخمر ويحب الكتب ويقول أن الناس أحرار . طبعا الناس أحرار ومن الحرية أن تصمت أحياناً ، لدى نيسين آلاف الصحائف والورق وتتعجب من غزيري الإنتاج هؤلاء لّما تكتب بهذه الغزارة ، فمتى قرات؟ زد هم لا يقرون بالجميل أبداً لما يقرؤون لا يقولون أننا قرأنا شيئاً في المكان الفلاني . . فهم بكتاباتهم يدّعون الاصالة والتجديد وأنه شيء متفرد في هذا الكون

قرأتُ نيسين ولن أهاجمه ، هو جيدٌ فعلاً لكن لديه كتب جيدة الباقي تكرار بحت لا جديد فيه والكثير من الساخرين العرب كرروا فقط ما قاله ليس الأمر تكراراً فحسب بل هناك موجة سخرية عالمية . . تشبه الميم meme تسود في كل الفترات وهكذا يكون لديك الكثير من المقالات المكررة الفكرة والتي لا فائدة منها إطلاقا . .

أعلم أني قاس في هذا الحكم لكني ثابت عليه بالأخص لما قرأت نقد جورج اورويل في كتابه الجميل لماذا اكتب . نقده لمارك توين وطاغور وتولستوي وقد كان محقاً في كل ما قاله . . رغم ذلك تولستوي يبقى تولستوي وجورج يبقى جورج .

أود أدباً عربياً يزيح كل هاته القمامة لمزبلة الأدب ويكتب شيئاً جديراً بالقراءة .

ماذا لو أخبرتك أن هناك من لا يريد تحويل صوره إلى صور كرتونية؟ حديثٌ حول نيكولاي غوغول

العنوان طبعاً تهكمٌ على دعوات الفيسبوكيين إلى تحويل الصور إلى كرتون . . لماذا نحول الصور إلى كرتون؟ . لأن العالم الكرتوني عالم خيالي جميل ليس به قوانين الواقع ، إنه خيال وخيال مريح ، أنا لا أقول إنه خدعة أو تهويم أو فراغ بل أحبذه لأنه خيال جيد وقد ظهر لي أن السبب كما قلت هو حب الانتقال لعالم أقل خشونة من عالمنا هذا . لان كل من يتحول كرتوناً حتى بالرسم تقل بشاعته الشخصية وكل شخص كرتوني جميل فإذا تحول إلى مانغا كان اجمل واجمل .

طبيب غربي يذهب لغزة . داعش ترجم امرأة .حكام صامتون لا نعرف أن كانوا موتى أو تم استبدالهم بتماثيل شمعية روبوتات يابانية كما في القصص البوليسية . طائرة ماليزية تسقط . بوتين الدب الروسي ساكت . بريطانيا تهدد . البرازيل لم تربح الكأس . إلخ . . هذا من اهم ما حدث الأيام الفارطة وقد أثار في نفسي شجناً لكنه غير مهم جداً لأنه بينما الأحداث تحدث . كنت برفقة عم روسي طيب اسمه نيكولاي غوغول . ليس غوغل يا أبناء النت بل غوغول! . صاحب قصة

شهيرة اسمها - المعطف - ولمن يتضايقون بعدد الأوراق الكبير فان قصة المعطف تبدو قصة مناسبة وصغيرة وممتعة جداً .

لكني لم أقرأ قصة المعطف فحسب بل النفوس الميتة . وهي من اعظم ما قرأت وأنا أرجح الآن أن تولستوي مهم جداً وتشيخوف أيضاً .وإذا فكرت أن أقارن فان تولوستوي ياتي أولاً ثم تشيخوف ثم دوستويفسكي . لكن أين نضع غوغول؟ هل هو بعد دوستو؟ أبداً . . أنا أضع غوغول بجانب ليو . من هو ليو طبعا لقبه تولستوي .

بعدما أنهيت القراءة للنفوس الميتة و من الجيد أني لم أقرأ عنها أي قراءة من قبل فلم أكن اعرف أي فكرة عن غوغول إلا قصته المعطف ولم اكن اعرف أي شيء عما تدور القصة . وأنا لن أحكيها هنا طبعاً لكن قلت أني لما أنهيتها هناك مقالة من المحرر تحكي كيف كتبها غوغول وقصة كتابة النفوس الميتة هي نفسها أسطورة وقصة جيدة بدءاً من نصح بوشكين الأمجد الشاعر الروسي لصاحبنا نيكولاي غوغول إلى مرافقته في كتابتها وتعديل المسودات اكثر من مرة إلى مراسلة لأمه للاستفسار عن عادات وقصص بعض القرى . .

غوغول ، المشكل فيه انك لا تحس أن هذا الرجل عاش في القرن التاسع عشر أبداً . . حيث الخيول مازالت والأقنان أي العبيد الخ . . غوغول لما تقرأه فستجد كل شيء ما زال كما هو في عصرنا هذا إنما له نظرة ثاقبة وحساً مدهشاً .

يقولون أن غوغول ساخر ، طبعا هو كذلك لكنه حكيم ،

انه ليس ساخر السخرية التي تخرج عن الحكمة وتكدر قلبك بالفظاعات . فمثلاً هناك فرق كبير بين سخرية سيوران وسخرية صمويل بيكيت وسخرية احمد بهجت وأنيس منصور ومحمد عفيفي وسخرية نيسين . سخرية غوغول هي قمة كل ذلك . . ستقرأ أدباً مميزاً فاخراً عشاء دسماً (كافيار أدبي وشامبانيا وآه طبعاً فودكا من النوع الغالي) ، غوغول يحكي لك وكأنه زميل ثم يتحدث للقارئ دون حجاب وهذا ما فعلته في روايتي اللاشيء دون أن اكون قد قرأت غوغول . وينقد غوغول روايته في آخر الأحداث ويتحدث ويبوح بكل شيء . غوغول أثر فيّ عميقاً ، طبعا ليس فيّ وحدي فهو يسمى أباً من آباء الأدب الروسي العظيم . الذي يضاهيه عظمة شقاء وكدح المترجمين العرب المخلصين الذين أوصلوا كل مجلدات الروائع لنا بإخلاص وعمل وهمة منقطعة النظير .

غوغول ومترجمية للعربية . أدين لكم بالكثير فعليك الرحمة وعلى ضريحك ،، هلّ القطر أيا نيكولاي غوغول أيا أب الأدب الأمجد . !

موديانو وهابارا وأمانينا (المفجوعة) في هاروكي موراكامي

أخبرني صديقي محمود حسني بعدما انزعجت لعدم حصول هاروكي على نوبل : أنه لا ينبغي أن أتسرع في الحكم على موديانو باتريك الفرنسي الحائز عليها ، حتى أطلع على أدبه . . وفي كتاب في أحضان الكتب أخبر بلال فضل أن الكثير من المثقفين العرب يحبطون دائماً من نتائج هذه الجائزة لأنها تخرج دوماً باسم كاتب لم يطلع عليه العرب لا في لغته الأصلية ولا في العربية التي يترجم لها عادة بعد فوزه بالجائزة . لكن هذا الحكم أو هذه القاعدة تم انتهاكها اكثر من مرة أولا لما حصل عليها اورهان باموق والآن مجدداً لما حصل عليها موديانو ، إذ أن موديانو فَطِن به بعض المترجمين وبالضبط رنا حايك ودار نشر ميريت فأخرجت له رواية «مجهولات» بالعربية إضافة إلى أن له عدة روايات مترجمة للعربية . ولنقل ذلك : مرحى ! نعم لقد حصل ذلك قبل حصوله على الجائزة . وبحصوله ستتسلسل أعماله المتبقية تباعاً بالتأكيد .

الكاتب غزير الإنتاج . . وعبارات نوبل التي جعلته يفوز غامضة ولا تشرح لماذا كسب الجائزة لكنني أنهيت روايته مجهولات في يومين (ويمكن إنهاءها في جلسة واحدة أو في

سفر واحد متوسط المدى) .تشعرك الروايات الأخرى لما تقرأها (مثلاً طبل الصفيح) بشعور غامض كأن أحدهم قام بركلك في البطن . . أما في «مجهولات» لموديانو فان هناك سرداً هائلاً واحتواء كبيرا للحزن لكن بطريقة غير مقلقة . . القلق الوجودي التابع للتسعينات الثمانينات والسبعينات وبالأخص الستينيات التي تجد فيها كلمة أزمة ونكبة في كل العالم وكلمة انهيار وسقوط وانحدار وانحطاط (إحساس مفجع بالنهاية) غير موجودة . .

البطل أنثى في كلا شِقيّ الرواية . . هذا ما اكتشفته أن لها شقان لكني غير متأكد تماماً ، وتبين لي لاحقاً أنها ثلاث قصص ، ولم اعرف انهما اثنان إلا بعدما أنهيت الجزء الأول لا توجد فصول ولا علامات ترقيمية ولا جزء أول ولا ثاني ، السرد متصل ببعضه متتالي بشكل جميل للغاية وهادئ ، غير سعيد في الأغلب لكنه غير مقلق ، ليس ساخراً وهذا مدهش في رواية تحوي هذا السرد كله ، بالإضافة إلى انه لا توجد مراجع تمكنك من إمساك أي شيء عدا السرد الهائل المحكم والمتواصل للمجهولة الباريسية . .

كما تقول المترجِمة رنا حايك في المقدمة أن الرواية تبدو مغرقة في المحلية أول الأمر لكنها ليست كذلك وهذا ما ستعرفه من الصفحة الأولى . . موديانو يمتلك ببساطة الشعلة الأدبية ويمتلك الموهبة . . وهذا رأيي لذا فهو يستحق الجائزة .

عودة إلى محمود الذي اخبرني انه من المفترض أن

يكسب ميلان كونديرا الجائزة نظرا لانجازاته وسنه أو على الأفل هاروكي موراكامي . . وهذا شرعي وحقيقي . . لكنني أخبرته أن اللجنة لا تتوافق مع آراء كونديرا السياسية ونظرته لحالة أوروبا ، لذا فمن المحتمل جداً إلا يكسبها أبدا وسيخلد في الأدب كقامة لا تحتاج إلى آية جوائز . .

الجائزة تُمنح كل عام ، لذا هناك الكثير من الحظوظ للأدباء ككل . ولا ندري ما الذي سيحصل العام المقبل ؟ إلا أن هذه دعوة لنفسي للتعرف اكثر على موديانو الذي يبدو نسيجاً مختلفاً وثرياً للأدب الأوروبي المعاصر .

ولنلق الآن بعض أسئلة أحاول الإجابة عنها باختصار :

١- هل يستحق موديانو باتريك الجائزة؟

- نعم وبجدارة

٢- هل كما أخبرت اللجنة أن ذلك بسبب الذاكرة والفن الإنساني؟

- لا . باتريك موديانو يملك الموهبة الأدبية . . عادةً الأدباء المشردون في طفولتهم وشبابهم يملكون طاقة كبيرة على استشفاف الحقائق لأنهم نفسياً معزولون عن المجتمع وهذا يتيح لهم مراقبته عن بعد والتوصل إلى أفكار مذهلة وأصيلة وغير منغمسة في البروتوكولات ولا البورجوازية الأدبية أو المادية : كأمثلة هناك هنري ميلر واورويل جورج وبوكوفسكي وسالجنر .

٣- أيهما الأحق ميلان كونديرا أو هاروكي؟

- ميلان كونديرا .

٤- أيهما الأعمق ميلان كونديرا أم هاروكي؟

- ميلان كونديرا .

٥- أيهما الأعمق سوزكند أم ميلان كونديرا؟

-سوزكند بالطبع .

٦- أيهما الأهم والأفضل سوزكند أم بورخيس؟

- بورخيس .

٨- أيهما الأعمق بورخيس أم جيمس جويس؟

- جيمس جويس أعمق لكن بورخيس اهم وافضل أدبا .

٩- أيهما الأهم جيمس جويس أم كافكا؟

- كلاهما مهم جداً . لكن كافكا أفضل أدباً وجويس أعمق . (الأحكام مبنية على مطالعاتي المحدودة والذاتية غير الموضوعية) .

لنتكلم الآن عن هاروكي موراكامي في قصته الأخيرة القصيرة التي قدمتها أماني لازار مشكورةً للعربية . . قصته «شهرزاد» . والترجمة كانت ممتازة ولنقم بتحليل النص الأدبي بناء عليها .

العنوان شهرزاد - التأثير عربي واضح ألف ليلة وليلة . لكنه يلعب على نقطة مهمة جداً . . وهو تساؤل ((إن كانت شهرزاد الحقيقية في ألف ليلة وليلة لما تنهي القصة الألف تقبّل الأرض بين يدي الملك وتأتي بأولادها الثلاث أمامه فيعفو

عنها ، ولما كنا نعلم انه في خلال ألف ليلة وليلة كانت الليالي كلها مشغولة بالحكي . . ممارسة الحب متى وقعت بالتحديد؟)) السؤال وقح طبعاً لكن أؤكد لكم انه خطر ببال هاروكي لذا الجملة الأولي في قصته القصيرة شهرزاد تبدو صادمة للذوق الاعتيادي للقاريء ولذوقي أيضاً لكنها لفتة ذكية لاستثارة القراءات .

تيمة ثعبان الماء -الحنكليس الكلام عن عادات الحيوانات والسلمون- تأثير أصيل لهاروكي موراكامي .

قصة الحب الواردة في طفولة شهرزاد - قصة اعتيادية . لكن بدمجها في القصة ككل أعطتها طابعاً مميزاً . وهي قريبة جداً من حكايا فارغاس يوسا لو كان يابانياً .

- عدم الاهتمام بأسماء الأبطال واغفالهم مع أن اسم هابارا موجود . تأثير كافكوي معروف جداً .

- الاحتجاز في غرفة دون معرفة الأسباب - تأثير كافكوي مشهور ./ تيمة لبول أوستر أيضا دوستويفسكي أيضاً . بول أوستر في روايته ليلة التنبوء ودو في مذكرات من تحت الأرض (أو في قبوي كما ترجمها البارودي) .

التحدث عن أن مصير هابارا مرتبط برغبة شخص أو منظمة أو كلامه عن (هم) التي أشار إليها هاروكي بغموض - تأثير بورخيسي شهير في قصته الرائعة النصيب في بابل في كلامه عن -الشركة THE COMPANY- . .

ولنقل أيضا أن الاحتجاز في غرفة يشبه أيضاً (من القبو أو

مذكرات من تحت الأرض) التي كتبها دوستويفسكي طبعاً . . والملاحظ أن هناك كتاباً لهاروكي اسمه تحت الأرض وأدبياً معروف أن هاروكيم تأثر بشدة بدو وبالعم ليو تولوستوي والمدرسة الروسية العتيدة الثقيلة في فن الرواية .

القصة ممتازة فعلاً ولها انطباعات وتداعيات كثيرة ومهمة وجميل أن يكتبها كاتب يعيش بيننا ويصادف المشاكل الحالية والآنية التي نعانيها ويكتب عن حيرتنا الوجودية في هذا العالم الذي لا ندري بالضبط كيف يسير أو أي رغبة تتحكم به؟؟!!

لديّ حلم أنه ذات يوم..

تُقرّ بالاستماع لجوليا بطرس -يوماً ما-
لديّ حلم أنه ذات يوم :

١- يكف العرب عن كتابة الروايات المثيرة للغثيان والتي تقصد تعرية المجتمع وهي تعري ثقافة وضحالة الكاتب فقط ، وأيضاً السير الذاتية المزيفة بعد موت الناس الذين كانوا فيها وبعد موت آباءهم كي لا يروا الخيبة والحسرة في عيونهم . وكي يرفقوا بالأشجار ويحموا البيئة بعدم استغلالهم للورق .

٢- أن يكف البعض عن دعوتي للألعاب في الفيسبوك .

٣- أن يكف الناس عن سؤالي (ما الذي فعلته في حياتي حتى الآن) فالحق وحده من له الأحقية أن يحاسبني بالسلب أو الإيجاب .

٤- أن اكون مسافراً لمسافات طويلة وتبقى سماعة الأذن تعمل كلاهما في أغاني المفضلة ودروسي وأموري التي أحب الاستماع إليها .

٥-أن يبقى شاحن التابلات أطول وقت ممكن كي اكمل قراءة رواية .

٦- أن أموت وأنا اقرأ .

٧- أن أجد الكتاب المفقود (أخبار الزمان) للمسعودي كاملاً ونسخة أصلية .
٨- أن امتلك الأعمال الكاملة بالعربية لخورخي لويس بورخيس مترجمة عن اللغة الأصلية .
٩- أن أعيش سنوات طويلة بلا أي اتصالات ، في سفوح التبت .
١٠- أن اجلس أنا ومن احب تحت شجرة عاشت ألف سنة .
١١- أن امتلك مزرعة خاصة بي فيها نخيل ريعها وُقفٌ لبعض من احبهم ومن ساعدني بالنفس والنفيس في خطوات حياتي . واربي فيها بعض الافناك . وان أقوم بنشاط تطوعي في جمعية بيئية بهذا الخصوص .
١٢- أن تكون هناك سلاسل جيب وكتب عربية مهمة وممتازة توجد في الأكشاك بسعر رمزي وفي مواقف الحافلات التي تسافر طويلاً وفي محطات الانتظار وفي الأنترنت كتطبيقات مجانية ، وتحتوي كتب مترجمة وأخرى أصلية من عندنا وان يتمتع أبناؤنا بثقافة مخيفة ومريعة تبز كل الأمم علمياً . وان يكون لدينا رياضيون يُفهموننا لماذا علينا أن نتقبل العدد التخيلي اللعين في الحساب وان التقي باحدهم في مجلس ودي فيفهمني أمور الرياضيات من الألف إلى الياء .
١٣- أن يحيا بعض الناس -الذين نحبهم ونستفيد من علمهم- عمراً أطول .
١٤- أن يموت بعض الكتاب ذوي الكتابات السخيفة وان يموت

بعدها الطغاة والمستعلين على الخلق .

١٥- أن يرفق الحق بي ويعطيني خلقاً حسناً وسمتاً فاضلاً ونوراً ويمدني بروح القدس ويجعل لي خلقاً تواضعياً مسيحياً في دين محكم إسلامي في حكمة صينية ودقة يابانية وان يجعلني من الزمرة التي تدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وان يشغلني به ، ويأخذني عني إليه ، وان يجعلني أَ فر منه إليه ، فكل شيء منه ، إفاضتك منك إليك .

١٦- أن افهم ما يقوله هيغل وهيدجر وفيتغنشتاين ، وأن يقيض الحق عربياً له عقل موسوعي يعيد كتابة وتبسيط مفاهيمهم لدرجة تتحملها خلاياي الرمادية وعقلي الصغير .

١٧- أن يكتب احد الروائيين أو يعيد كتابة عوليس لجيمس جويس بشكل كتابات أغاثا كريستي ويجعل عنوانها «مقتل ليوبولد بلوم» وكذلك في يقظة فينيغان فنقرأ رائعة جويس بنَفَسٍ كريستي انجليزي بحت .

١٨- أن يكمل احدهم الروايات المبتورة في كتاب - لو أن مسافراً في ليلة شتاء - لايتالوكالفينو .

١٩- أن يعثر المترجم عبد العزيز شادي على رواية berg للكاتبة أن كوين ويترجمها للعربية .

٢٠- أن تقول «آمين» وتبحث عني في النت وتقرأ بعض مما كتبته في مواضيع أخرى .

شكرا لك .

الشدياق والسيدة راء وأنا

عَرضٌ لكتاب : الحداثة الممكنة «الشدياق والساق على الساق» . . الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث لـ رضوى عاشور

بعد اقتنائي لكتاب رضوى الذي هو دراسة عن الشدياق وفي تمام العاشرة ليلاً ودعنا نقل انه لا تمام ولا هم يحزنون لأنه لا تمام إلا في أمور الحق . . ورغم أن العالَم كله -بما فيه الوقت والكتاب وأنا الضعيف- من أمور الحق فانه لا يمكن عملياً أن تبدأ كتاباً ما مع تمام ساعة ما إلا بالصدفة أو بالاتفاق كي لا نقول الصدفة . وهكذا فانه في العاشرة وبضع دقائق بدأتُ الكتاب ولم اتركه إلا لما انتهيت منه تماماً وحتى دار النشر قرات اسمها واعرفها وهي الشروق . . ولم أر كم الساعة عندما انتهيت منه فلا تسألوني ولا تحسبوا هل قراءتي كانت سريعة أم لا ، والسبب في أنني لم أر الوقت لأنه لم تحدث جريمة قتل . . في صباي لما كنت قارئاً نهماً لأغاثا كريستي كنت أؤمن أن الأجانب يهتمون للوقت وهكذا فان المحقق في روايات أغاثا كريستي لما يسال المتهم أو المشتبه فيه متى خرجت ومتى دخلت كان الملعون يعرف دوماً كم كان الوقت !!

وبعد قراءات متعددة لي عرفت أن جيمس جويس لا

يحب الوقت والرزنامات ، فأرتحت لهذا والحمد لله رب العالمين لهذا نعود لكتاب رضوى .

وبداية بمقدمتها التي تشكر فيها الباحثين واصدقائها على دعمها في هذه الدراسة ، وهي المقدمة الوحيدة من كتاب ما التي استفدت منها . . من مقدمة واستفدت!! يا لحظي ، أن مثل هذه الكتب تضخ المورفين الأدبي في عروقي المتعطشة وتبدأ خلايا الدم الحمراء بالتحزم وبدء مولد طربي باذخ تمد فيه الموائد . . لكن إلى أين ذهبنا بحق السماء؟؟ دعوني لأكمل لكم : وهنا نعرف أن كتب رضوى ليست كالكتب الأخرى . . وأحسست بالرعب والفزع مضخماً بالأسى والحزن وقد يقول قائل أين الطرب الذي كان منذ قليل؟ . . أقول له لقد ذهب إلى البعد السابع عشر كإجابة سوريالية لكن كإجابة عملية هي أن الإنسان أو مشاعر الإنسان لا تثبت على نمط أو منهج واحد فأقول أنني احسستُ بالرعب واخطأتُ أول الأمر في كتابة الرعب فكتبتها - عرب- وكلاهما صحيح فهما مخيفان في هذا العصر أقول كي لا ننساق في تيار الوعي الذي ما أن دخله احد إلا كان التيار كالثقب الأسود الذي يدخله لا يعود . . أحسست برعبٍ ، رعبٍ رهيب وفراغ مخيف أن هذا الكون الجامع الذي هو رضوى قد رحل ويا للأسف . أن هذا النول الذي ينسج الحقائق قد كف عن الدوران . .

المهم الآن ، ماذا الذي استفدت من المقدمة :

أن البحث/الدراسة كانت جيدة جداً واستغرقت وقتاً

وجهداً كبيرين واتبعت فيه رضوى أعلى الاحترافية الأدبية النقدية والأكاديمية في كتابته وهو ليس دراسة مخيفة بل دراسة مهمة وجيدة وبسيطة لكن عميقة ، بساطة تنبى عن عمق كبير حول شخصية الشدياق عبر كتابه التي تعتبره الرواية العربية الأولي .

أن الكاتب ما لم يستفد من الموروث ولم يبحث ولم يترجم ولم يكتب الدراسات غالب الأمر ستكون رواياته سخيفة . وهذا ما يحدث في عصر العرب السعيد هذا .

أن الكاتب العظيم لا يكون عظيماً بنفسه فقط . . ففي آخر سطرين للمقدمة شكرت طلابها وكان احدهم دكتوراً والآخر يكتب ماجستير حول سترن والشدياق وما بينهما من الاختلاف والاتفاق وهو رائع من عنوانه ومن مشرفته طبعا السيدة راء المجدة في كل بُعد وفي كل كون . . وأتمنى أن يطبع واقرأه وأتمنى أن يُترجم سترن نفسه للعربية يوماً ما كما تحب جوليا بطرس أن تغني .

من الكتاب خرج تنبيه (ألِرت) أخضر يقول لي أن عليّ أن اقرأ الشدياق . . في بدايات مطالعاتي عبر النت تجنبته لكنني لم اعرف السبب أصلاً في تجنبه ، اعرف الآن انه أمر نفسي ، مجرد اشمئزاز من السجع والأمور السلطانية العثمانية المنحطة من عصر غابر جاهل . . هكذا كنت أظن ، ولكن رضوى أخبرتني لماذا يحدث هذا لكل المثقفين الناشئين ذلك أن شلة سيئة والتعبير من عندي فكتابتها مهذبة وجميلة

جداً . . شلة سيئة على رأسها شوقي ضيف وأكاديميون لا فائدة من وجودهم وربما تورط عصفور أيضاً وآخرون قالوا لنا وكُتب ذلك في الكتب المدرسية اللعينة أن المقامات والأمور الجيدة التي حدثت في السابق هي أدب انحطاط وهكذا عزفنا عنها . لكن الكاتبة رضوى الجيدة فنّدت ذلك ببساطة وأريحية تبعث على الانبهار ، في نصف صفحة فقط من دراستها نقلاً عن كليطو المُمجد في كل بعد حتى البعد السابع عشر . وهكذا عرفت عِلتي وعرفت دائي وكانت هي الطبيبة الناقدة التي شفتني فرحماك يا رب ، أغدق يا إلهي على ضريحها الرحمة والرضوان .

ومن الأمور المفيدة الأخرى هي أنها ردت –وبشكل اكثر من رائع– على انتقادات لويس عوض حول الشدياق . . أولاً وقبل هذا كان ترتيب الكتاب والمقدمات وعناوين الفصول تنم عن نظام بديع وذوق رفيع راقٍ وأن هذه المرأة المثقفة المتنورة الجيدة تعرف فعلاً ما تقول وما تفعل وما تكتب وأن كتابتها عميقة وثقافتها كبيرة جداً وهذا فعلاً ما يحتاجه الناقد أما أدواتها النقدية والمنطقية والفكرية والفلسفية فشديدة العلو والارتقاء طبعاً ، لو حذفت اسمها من الكتاب لظهر لك أن الدراسة كتبها عالم تحرير أو مبدع لا يشق له غبار ببساطة لا اثر للحس الأنثوي طبعاً أو الضعف النسائي الذي عادة ما نجده في الكتابات النسائية . . أنه في النثر مثل شعر الخنساء في الشعر . . أجمع نقاد الشعر انه شعر فحل حتى لو كتبته أنثى .

أثنت رضوى على الشدياق أنه في كتابه كان أساساً موجهاً لأثنين اللغة والأنثى وهذا تنبيه مهم جداً أن الشدياق لم يفق الآخرين في انه كتب أول رواية عربية فقط بل إنه كان قبل قاسم آمين معبود الليبراليين في وقتنا الحالي ومجدداً أقول سحقاً لكتب التاريخ الاعتيادية وحديث المدارس .

ما أعجبني أيضا هو أن رضوى لا تؤمن بالمسلمات الأدبية التي نشأنا عليها مثل ما هي أول رواية عربية . وسيقول الجميع زينب وهي لم تكن كذلك هناك شبه إجماع طبعاً ، الكثير من النقاد طرحوا كما قالت مرشحين آخرين لكن في نظرها الأسبق كان الشدياق وبقراءة كتابها ستقتنع أن كان لك حس منطقي سليم فعلا . .

الكثير من النقاد الغربيين قالوا أول الأمر أن رواية سترن (حياة تريسترا مشاندي وآراؤه) عبارة عن تجريب وعبث أدبي وقال لويس عوض أن الشدياق قلده ولم يلحق شأو سترن وردت عليه طبعاً رضوى بالأدلة الادبية والتاريخية وخطّأته في اكثر من عشر مواضع بالصفحة والدليل . فسقط لويس عوض من حساباتي الأدبية نهائياً إلى مجهول من مجاهيل الأدب يلقى الكلام على عواهنه وان كان من الأفضل ومن الحق أن تقرا للإثنين كي تحكم حكم القاضي الحق العدل . . لكنني لا ابغي بغير الحب حكماً . . وأنا مع رضوى فيما قالته ثم أنا مجدداً مع الشدياق . .

أنني اصرح وبصدقٍ- قدر ما استطعت- أقول : أن قراءة

الكتب قدر . وان بعض الكتب تمر أمامنا ولا نطالعها قط وتعافها أنفسنا ذلك لان شوقي ضيف قال ، ولان ذلك فُرض علينا في المدارس ودرجنا عليه وكتبنا حوله البحوث والمذكرات واستمعنا إليه في الإذاعة ورأيناه في التلفاز ، عن عصر الانحطاط اللعين وقال لنا انه لا يمكن أن يكون هذا أدباً وأن الأدب هو الشكل الجيد للقصة الغربية كما حَبّرها فولتير وموليير وجماعة من الفرنسيين والإنجليز ، الآن كما تقول رضوى خرج بورخيس وجويس وولف . . وتم -على لسان كبار نقاد العالم من بينهم كونديرا وايكو وكاليفنو- تمجيد سترن ورابليه وغيرهما . . ونحن نسينا الشدياق مع أن الشدياق ناضجاً نضوجاً فنياً عظيماً في روايته التي ندر أن يجود الزمان بمثلها ، مثلما قال الشدياق نفسه في بداية الرواية ، تنتمي بل تبزّ رابليه وسترن وجويس نفسه وتقاربه .

نعود لتصريحي فأقول (إنه أحياناً لا يمكننا أن نقرأ كتاباً إلا عبر مرآة مجلوة جيداً . . عبر قاريء ممتاز يوضح لنا كيف نقرأ) . . وهذا ما حدث لي (مع الساق على الساق) للشدياق عبر الممجدة في كل الأبعاد والأكوان المعروفة والمجهولة ، المأهولة والمهجورة : الطيبة الذكر رضوى . .

الإضافات والاستطرادات في المقال كانت متعمدةً لإضفاء روح الغرائبية التي تسيطر على الشدياق وعلى الكتاب النقدي أيضا الممتع لرضوى .

حزين أنا وأنا اكتب هذا لأنه ليس مقالاً يعرض لكتاب

نقدي فحسب بل هو مقال إنساني كُتب والزمن قريب من جرح مازال ينز دماً لفراق هذه الأديبة الكاتبة والمفكرة رضوى عاشور عليها الرحمة والرضوان .

الالتزام الأدبي والالتزام في الفن وعن إيمان الشعراء

الفنان لا يريد تشذيب شجرة الحنظل ، إنما يريد أن يزرع الكرز .

أؤمن أولاً أن الشعر إنما خُلق ضد الواقع ، ضد القوانين ، وضد «ضد القوانين» ، هو شيء يحتوي نقيضه ، لذلك لا معنى للمعركة بين جابر عصفور في زمن الرواية وبين أدونيس في زمن الشعر . لأن الفنان والكاتب حتى أن لم يكتب بيتاً واحداً هو شاعر .

ولنقلها صريحاً : زمننا ليس زمن رواية . ولا زمن شعر . . زمننا زمن الفن - الروح الشعري - وزمن الروح الأدبي ، زمننا لا مشكلة له في السياسة ولا الجنس ولا الدين ، بل مشكلته هو الضجر والملل كلنا شهريار . . ولا شهرزاد لنا ! .

لهذا لا تحتر أن رأيت أن العظيم غوغول سمى روايته النفوس الميتة قصيدة في مدح بهاء روسيا الكبرى ، وان آلام فرتر لغوته هي قصيدة وليست رواية رغم أنها رواية ، وان كافكا يسمى شاعراً رغم أنه كاتب قصصي روائي .

الرسامون التشكيليون شعراء ، النحاتون شعراء . حتى بائعوا الخسّ في نظر أبي العتاهية شُعراء بالفطرة ، الشعر حالةٌ إنسانية قوامها أن تكون نفسك وأن تكون نفسك يعني انك

مستعص على التصنيف حسب أي أيديولوجية ايّا كانت ديناً أو حزباً أو منظومة فكرية ما .

لهذا أصدر الحق بيانه أن الشعراء صنف مميز من الناس وأنا أوافق شادي عبد العزيز المترجم والآخرين في مقال له -وربما شاركه على النت وليس له لذا وجب التنبيه - اسمه القواعد الأربعون للترجمة ، أن من يترجم يجب إلا يعلق في وسط الترجمة عن معتقداته . أتذكر انه في حلقة انيميناروتو كانت الجملة المترجمة هي (إله) كانوا يتكلمون عن إله ما وهنا أضاف المترجم (إلههم المزعوم) أو يضيف أحياناً (أستغفر الله) بعد عرض مقطع ديني ما يخالف الدين الرسمي للمترجم .

كذلك من الغباء اتهام نزار قباني بالشرك لما قال (ساعدني يا برج الحمل) في قصيدته التي ولا أروع (أجلس في المقهى منتظراً أن تأتي سيدتي الحلوة) انه لمن الغباء الشديد فعل ذلك لأن الشعراء يتبعهم الغاوون بمعنى أنهم أسياد الغواية والقائدون لها . ولم الغواية؟ ؟ لان العالم ممل جداً دون الشعراء وأفكارهم الثرية والمصيرية حول الرب والمصير ومعنى الحياة والإنسان إذن فلندعو برج الحمل فعلا أن يساعدنا .

ثم انظر وتأمل هل يوجد اجمل وأحلى من أبيات الشعر هذه التي هي ضد الشعراء المزيفين الذين لا شعر حقيقي لهم ولا أدب ، المقطع للعظيم بوكوفسكي والذي أتعبنا بعض الروائيون والأدباء العرب بأن قلدوه أو حاولوا ذلك -فاشلين- بأداءٍ يدعو إلى الرثاء والبؤس :

إلى العاهرة التي سرقت قصائدي / بوكوفسكي .
فلتأخذي ، المرة المقبلة ، ذراعي اليسرى أو خمسين دولاراً
لكن ليس قصائدي :
لستُ شكسبير
لكن أحياناً ببساطة
لن يكون هناك المزيد من القصائد ، تجريدية أم سواها ؛
سيكون ثمة دائماً ، وحتى القنبلة الأخيرة ،
مال وعاهرات وسكارى
لكن مثلما قال الرب
مصلّباً ساقيه ،
أرى أنني صنعت الكثير من الشعراء
لكن ليس الوافر
من الشعر .

وهل يقول أن هذا تجديف إلا لمن ليس له قلب ولا ذوق في الأدب الإنساني الرفيع .

لنتكلم الآن عن الالتزام الفني . يقول لك الذين اشتعل رأسهم شيباً في منصة جائزة نوبل وغونكور وبوكر مان أن الفنان يجب أن يكون ملتزماً بقضايا الإنسانية . والجواب هو : أبداً ، هذا ليس فناً . الفن أن تعمل حسب الفن ولا يهمني ما تعتقده : اِعتقد أنْ شيطاناً ما يملي عليك كما اعتقد الجاهليون ،

أو الأنا الأعلى أو الأنا الأدنى أو رجل يلبس جلد خروف كما يعتقد هاروكي ، أو الهو أو اللاهو كما يقول فرويد أو كائن فضائي ما لا مرئي قرر مرة أن يصيب بالجنون كاتباً فرنسيًا فيخرج بطائفة الرائلية ويدعي أننا خلق من المخلوقات الفضائية وانهم آلهة وان السومريين تكلموا عنهم بدقة ولا يؤمن بالكتب المقدسة ، اعتقد ما شئتَ بله حتى أن روح القدس يمدّك أو انك بنفسك إله السرد كما قال بعض الروائيين المصريين الذين حتى كتبهم ، الملل لا يقرأها بذات نفسه إلا وبكى بالأربع السجام من حجم الضجر المتليء بها ، الخلاصة اعتقد ما شئت ما دمت تملك ما يمليه عليك إلهامك وإلهامك الفني الخالص انت وحسب ، كُتب د سالنجر تقول لأدب العصر مشكلتنا هي الضجر كالفينو في وصاياه الست للألفية التي تم تجاهلها من اغلب من يكتبون يقول لا تكونوا مُضجِرين ، لماذا ليس على الفنانين أن يشغلوا بالهم بالقضايا الإنسانية ، لأن غالب الفنانين الحقيقيين يملكون إنسانية طاغية أصلاً وكل من كتبوا حول أساتذة الياسفي مذكراتهم وحول حياتهم قالوا انهم جد لطفاء ومهذبين اجتماعياً ويساعدون الآخرين جداً عكس ما نظنه من خلال كتاباتهم ، أو ما نعتقد أننا فهمناه من خلال كتاباتهم ، وهذا يدل أننا لم نفهمهم جيدا فعلاً . . ولأضرب مثالين صمويل بيكيت وسيوران اميل وشوبنهاور نفسه (أقرأ أساتذة اليأس والمقابلات والمقالات حولهم) .

الالتزام الفني لدى من يروجون له ، يعني أن الفنان يجب

أن يدعم بشكل واضح بالمقالات وبفنه وبتصريحات واضحة : القضايا الإنسانية وان يقول أن الطاغية طاغية في وجهه ويكتسب بذلك رضا الدين والله ويقدسه الناس عبر التاريخ بتماثيل تنزع في الثورة المقبلة ، وان يرثي لحال أطفال أفريقيا وان يدعم أنصار البيئة وحماية كوكب الأرض . وهذا في نظر الفنان تفاهة إذ انه بمجرد كونك إنساناً فانت تدعم الإنسانية وأي فعل يخالف الإنسانية فان الإنسان بفطرته يكرهه والفاعل للشيء المخالف يُهين كل إنسان في الأرض بفعله ذلك ، كما يقول نلسون مانديلا الممجد . . فهذه لا تحتاج لتصريح ولا لدعم . . يقول السياسيون ورؤساء الجمعيات غير الربحية ظاهراً الربحية باطنا وبطناً : «لا» بل يجب أن يصرح وأن يدعم ويدفع النقود لأن هذا يحسن الوضع ، لكن الجواب على هذا هو أن الفنان أذكى ، وفي مستوى أرفع من ذلك فهو يريد أن يستأصل الأمر من أساسه ، بتبديل أفكار الآخرين أصلاً عن الأمر ، الفنان مُزارِع يريد أن يزرع الفكرة ويرعاها . . لا يريد تشذيب شجرة الحنظل ، لا يريد أن يطعّمها . . يريد أن يغرس توتاً أو يغرس كرزاً ، يريد أن يكرُز بمحبة الله أو محبة الإنسان أو كلاهما ، يريد أن يغيّر ما لا يتغير وان يكفر بالثابت والمتحول وان يبدل ماهيات الأشياء . . ولنعطي مثالاً بسيطاً لذوي العقول العملية المادية : رواية موبي ديك للفنان الشاعري هرمان ملفل مثلاً لما قرأها ستيف جوبز وفعل مثلاً على أساسها أي شيء في شركة ابل فالتأثير المليوني الذي ستحدثه هو بالضبط

ما يريده الفن . يريد بذرة بحجم الحصوة . . لكن الفنان الذي يمتلك روح الشعر ، لا يراها بذرة . . انه يرى بداخلها الشجرة الكبيرة المورقة التي ستكون يوماً ما ، وهو لا يضجر من الانتظار . . فنحن ها هنا . . جواب كل فنان على ماذا الذي تفعله؟ هو (نربّي الأمل) .

فالفن يريد أن يغير التاريخ ويغير الأمور حتى لو كانت ببطء لكنه يؤمن بنفسه وانه يستطيع فعل هذا . لذلك فلا أهمية ولا ضرورة نقولها صراحا لأي التزام في الفن بالمعنى المطروح حاليا وحوله كل هذه الضجة .

الفهرس

لو كان كافكا يملك هاتفاً نقالاً

يونس بن عمارة

الفنانُ لا يريد تشذيب شجرة الحنظل، إنما يريد أن يزرع الكرز.
أؤمنُ أولاً أنّ الشِّعر إنما خُلق ضد الواقع، ضد القوانين، وضد "ضدّ القوانين"، وهو شيء يحتوي على نقيضه، لذلك لا معنى للمعركة بين "جابر عصفور" في زمن الرواية وبين "أدونيس" في زمن الشعر؛ لأنّ الفنان والكاتب حتى إن لم يكتب بيتاً واحداً هو شاعر. ولنقُلها صراحةً: زمننا ليس زمن رواية، ولا زمن شعر.. زمننا زمن الفن - الروح الشعري - وزمن الروح الأدبي، زمننا لا مشكلة له في السياسة ولا الجنس ولا الدين، بل مشكلتهُ هو الضجر والملل، كلنا شهريار.. ولا شهرزاد لنا..!



